وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

المتصوفة والحياة العامة بالمغرب الإسلامي من خلال كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات

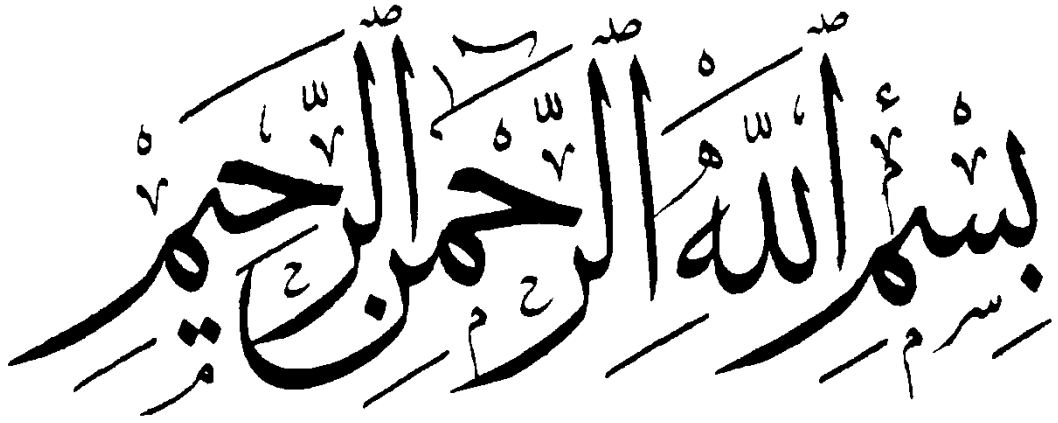
مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص
دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط

إعداد الطالبين:
-رابح خليف
-ناصر كوميش

إشراف الأستاذ:
- نوار نسيم

اللجنة المناقشة	
بوخلوة حسين	رئيسا
نوار نسيم	مشرفا
مالكي فاطمة الزهراء	مناقشا

السنة الجامعية:1435-1436هـ /2014-2015م


بسم الله الرحمن الرحيم



قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ فلله الحمد أولا وأخيرا

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى كل السادة الأساتذة الأفاضل

الذين وجهونا وساعدونا ونخص بذكر منهم:

الأستاذ عبد القادر بوعقادة من جامعة سعد دحلب 02 بالبليدة الذي دعمنا

معنويا وماديا في مجال البحث العلمي

الدكتور الطاهر بونابي من جامعة المسيلة

الأستاذ لخضر بولطيف من جامعة المسيلة

الأستاذ عبد الغاني حروز من جامعة المسيلة

الذين أعانونا بمساهمتهم في تجاوز عقبات البحث

الشكر والعرفان منصرفا إلى موظفي وعمال جامعة الدكتور فارس يحيى

الذين ساعدونا ووفروا لنا كل الوسائل لإنجاح هذا العمل

إلى من قال فيهما الله تبارك و تعالى:

{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا}

إلى التي أنارت لي حياتي ومهدت لي طريقي إلى طلب العلم

أمي العزيزة أطال الله في عمرها

إلى الذي انطفأت شمس روحه من الوجود و بقيت في قلبي مع مرور الزمن

إلى أحلى ذكرى في حياتي روح أبي الحنون رحمه الله

إلى زوجتي وابنتي

إلى رمز فخري وعزتي إخوتي الكِرام وأخواتي وأزواجهن

إلى كل الأصدقاء: شرف الدين وبلال ووليد ومختار السعيدي لعجال

وإلى زملائي بجامعة المدية والإقامة الجامعية حسان بن مولود

إلى زميلي في إنجاز هذا البحث ناصر كوميش

وإلى من ساعدني ومد لي يد العون في انجاز هذا العمل أهدي ثمرة جهدي

وفي الأخير إلى سكان مدينة المدية الذين لن أنسى كرم ضيافتهم ما حييت

رابح خليف

إلى منبع الحنان والعطاء الذي لم ينقطع...

إلى من ربياني صغيرا وعلماني أن الحياة كفاح وأن وراء كل تعب نجاح...

وأن الإرادة سيادة وأن العمل عبادة... **إليكما والداي**

أهديكما سلاما لو رُفِع إلى السماء لكان قمرا منيرا

ولو نَزَل إلى الأرض لكساها سندسا وحريرا

و لو مُزج بماء البحر لجعل الملح الأُجاج عذبا فراتا سلسبيلا

إلى كل من شاركوني حلاوة الحياة:

جدتي وإخوتي وأخواتي وزوجتي

إلى أصدقائي: شرف الدين ووليد وبلال ومختار السعيدي لعجال

إلى زميلي في إنجاز البحث رابح خليف

ناصر كوميش

مقدمـــــــة

حظي موضوع التصوف بالمغرب الإسلامي على عهد المرابطين والموجدين بالاهتمام والعناية من قبل الباحثين والمؤرخين الذين أثروا المكتبات بالعديد من المصنفات الصوفية نظرا لأهميته كعنصر مهم من عناصر التكوين الفكري، وأثره في ترجيح موازين القوى على الصعيدين السياسي والاجتماعي، فقد شهدت هذه الفترة انتقال التصوف من البساطة إلى التأطير والتنظير، فاختص بعلم الأحوال والاحكام والمجاهدات ورياضة النفس، لذلك سمي عند البعض بعلم الباطن.

كانت أسباب ودوافع الاختيار كالتالي:

*الرغبة في معرفة التصوف والمتصوفة منهجا وفكرا وتاريخا.

* البحث من أهم الموضوعات التي ينبغي ان تعنى بها الدراسات الإسلامية، لأنه يختص بواقع له امتداد حضاري لأمتنا.

* توثيق الصلة بيننا وبين تراثنا المجيد.

*الرد على الذين يقولون أن التصوف صرح منيع لا يدخله إلا الخواص .

*البحث في كتاب التشوف لأنه يجمع بيت المتغيرات العامة للمجتمع المغربي.

وترجع أهمية الموضوع إلى عدة أسباب أهمها:

*أهمية القرنين السادس والسابع هجريين بالنسبة للتطور الصوفي، وانتشار طرقه ومدارسه وتأصيل فكره بالمغرب الإسلامي.

*أهمية الكتاب حيث لم يختص بالبحث والدراسة فيما نعلم.

*تميز عصر المرابطين والموحدين بوجود كوكبة من المتصوفة الذين كان لهم الأثر الكبير في تاريخ المغرب الإسلامي.

ولأجل معرفة ملابسات الموضوع وجدنا أنفسنا أمام الكثير من الإشكالات التي تفرض نفسها والمتمثلة في:

*ما هي مرجعيات التصوف في العالم الإسلامي؟

*الصراع بين المتصوفة والسلطة و المجتمع كان نتيجة لجملة من الأسباب ما هي؟.

*هل لكتاب التشوف أهمية في تحقيق الارتقاء الروحي التي رمي التصوف بالقصور عن تحقيقها؟ وهل يمثل ابن الزيات في كتابه مسلكا من مسالك التصوف المؤسس للعزلة المنصرفة عن شؤون الحياة؟.

لم يسبق كما أشرنا أن **درس هذا الموضوع بالصيغة** المقترحة في هذا البحث، غير أن عددا من الباحثين في تاريخ الفكر والمجتمع **قدموا دراسات كل من زاويته لموضوع الصوفية والعلماء بالمغرب** الإسلامي في العصر الوسيط **ولعل أهم الدراسات هي:**

*دراسة الطاهر بونابي بعنوان : التصوف في الجزائر خلال القرنين6و7ه/12و13م،رسالة ماجستير **جامعة الجزائر**2000م.

***دراسة فاطمة الزهراء جدو بعنوان:** السلطة والمتصوفة في الأندلس عصر **المرابطين والموحدين، رسالة** ماجستير **جامعة قسنطينة** 2008م.

* دراسة محمد بوشريط بعنوان: الصراع بين الفقهاء والمتصوفة بالمغرب الإسلامي في عصر **المرابطين** والموحدين، رسالة ماجستير **جامعة الجزائر** 1، 2013م.

فرأينا أن نخصص دراسة عن المتصوفة من خلال كتاب التشوف، **باعتبارها مرحلة هامة من تاريخ التصوف بالمغرب الإسلامي،** فكان عنوان بحثنا " **المتصوفة والحياة العامة بالمغرب الإسلامي من خلال كتاب التشوف لابن الزيات".**

وقد اتبعنا أثناء عملية تحرير المعلومات المنهج الوصفي والتحليلي الذي يقوم على استقصاء المعلومات من المصادر والمراجع، ثم تحليلها والمقارنة بين نصوصها تم النظر في تبوهَا او نفي صحتها.

ولدراسة الموضوع دراسة علمية منظمة ملمة بجوانبها وما يفرضه **العنوان وتوافر المادة العلمية قسمنا** بحثنا إلى مقدمة وثلاث مباحث جاءت على النحو التالي :

* **المبحث الأول : بعنوان** مدخل إلى التصوف، **اندرج تحته ثلاث عناصر هي أصل التصوف و تعريفه** ونشأته وعوامل ظهوره.

*المبحث الثاني: **تطرقنا فيه** إلى دراسة **تحليلية وصفية لكتاب التشوف مع** إبراز ترجمة **المؤلف.**

***المبحث الثالث: تناولنا فيه المتصوفة** بين السلطة والمجتمع دراسة تنظيرية من كتاب التشوف **مع الاستعانة بالكتب الأخرى.**

استند هذا البحث على أصناف مصادر مختلفة ومتنوعة، نحاو ل **أن نتعرض لأهمها،** لذا فهي تأخذ في ترتيبها هذا العرض **انطلاقا، واعتبارا** لمدى أهميتها بالنسبة لموضوع الدراسة.

كتب المناقب والتراجم :

يشكل هذا الصنف من المصادر أهم روافد الدراسة ومنابعها الأساسية، بما تتضمنه من أخبار حول أنشطة الصوفية، وكل ما يتعلق بها بما لا توفره المصادر الأخرى.

ومن أهم مصادر المناقب التي اعتمدنا عليها في بحثنا هي "التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي" لابن الزيات التادلي (617 ه/1220م)، أنموذجا يكاد يكون فريدا من نوعه في رصد واقع الصوفية وبعض من الفقهاء في المغرب الإسلامي.

وتتمثل أهميته بالنسبة لبحثنا في كونه أمدنا بمعلومات ثمينة حول دور المتصوفة في المجتمع وأدائهم الكرامي، وعلاقاتهم بمختلف فئات المجتمع: سلطة سياسية، وعامة،كما أمدنا أيضا بأدوار بعض الزهاد في المجتمع وعلاقاتهم بالمتصوفة، والأدباء، والأطباء، من أهل المغرب.

بالإضافة إلى كتاب " أنس الفقير وعز الحقير"، لابن قنفد (ت810ه/1407م) وهو من المصادر المهمة في التاريخ في حركة التصوف، موردا خصبا لدراستها في بلاد المغرب، وقد استخدمناه في معرفة بعض الدلالات الصوفية.

2.كتب الحوليات التاريخية:

تحتفظ كتب الحوليات بأهميتها ومالها من مكانة مرموقة كلما تعلق الأمر بالبحث في التاريخ السياسي، كما أنها كانت سندا هاما لنا في فهم الكثير من القضايا التي يعوزها قدر من الوضوح في مصادر أخرى.

ويأتي كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" للمراكشي (ت647 ه/1249م) والذي يعالج أخبار المغرب في عصر الموحدين، كما أنه تكلم بإيجاز عن دولة المرابطين، ويعد مصدرا أساسيا، وقد استفدنا منه من خلال احتوائه على معلومات، وأخبار نادرة، خاصة فيما تعلق بمنهج الدولة المرابطية والموحدية، وسياسة خلفائها، في المجال الفكري، والعقدي، والسياسي، وعلاقاتهم بالمتصوفة.

كما اعتمدنا أيضا على كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لابن أبي زرع (ت726ه/1325م)، ويعد مصدرا خاص بالتأريخ للمغرب الأقصى،

وقد تضمن الحديث عن مجمل الأحداث الهامة بالمغرب الإسلامي واستفدنا منه في إبراز سياسة الخلفاء وعلاقتهم بالمتصوفة.

ويأتي كتاب "المقدمة" لابن خلدون عبد الرحمان (ت808ه/1407م)، كمصدر أساسي في معالجة موضوع التصوف كموضوع فكري وثقافي.

بالإضافة إلى كتب أخرى اعتمدنا عليها على نحو مفصل، في بحثنا مثل "البيان المغرب" لابن عذارى (حي712ه/1312م)، و"بغية الرواد" ليحيى بن خلدون(780ه/1378م).

3. كتب العقيدة والأصول :

تبعا لمقتضيات البحث استخدمنا هذا النوع من المصنفات، التي منها كتاب "الإحياء" للغزالي (ت505ه/1112م)، والذي استفدنا منه في أغلب الأحيان كونه شكل نقطة الصراع والإلتقاء بين الصوفية والسلطة من خلال نصوصه وأبعادها.

كما تطرقنا لكتب أخرى تمثلت في كتاب"الرسالة القشيرية" للقشيري (ت465ه/1069م)، وقد أفادتنا هذه الكتاب في ضبط المصطلحات الصوفية.

4. كتب البلدان :

إن هذا الصنف من المصادر يحتوي في ثناياه على إفادات قيمة للبحث التاريخي، من خلال أخبار المدن والأمصار والمسالك والممالك.

ومن الكتب التي اعتمدنا عليها، من هذا الصنف كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت626ه/1228م)، كل هذه الكتب استفدنا منها في الدراسة لمعرفة أحوال المغرب الإسلامي.

وقد استفدنا من هذه الكتب كلها العلاقة بين الصوفية والسلطة.

ودعمنا عملنا بمجموعة من المراجع المتخصصة نذكر منها:

* كتاب الطاهر بونابي بعنوان : التصوف في الجزائر خلال القرنين6و7ه/12و13م.

*كتاب إبراهيم القادري بوتشيش بعنوان: المغرب والأندلس في عصر المرابطين .

*كتاب بن سباع مصطفى بعنوان :السلطة بين التصوف والتسنن والتشيع على عهدي المرابطين والموحدين.

وتكمن الاستفادة منهم في انهم يمسون صميم الدراسة فيما تعلق بعلاقة المتصوفة بالسلطة **و** المجتمع **وأدائهم الكرامي، وقد دعمنا دراستنا بمجموعة من** المقالات **والمقالات والدراسات** التي تحيط بجوانب الموضع نذكر منها: **دراسة لصابر طعيمة بعنوان أصول الفرق.**

و كأي دراسة علمية صادفتنا مجموعة من العوائق، تمثلت في صعوبة التعامل مع الظاهرة **الصوفية** في إطارها التاريخي والطبيعي لانها ظاهرة خاصة غير منتظمة في الإطار الطبيعي والفكري، **وأيضا ربط الظاهرة بالواقع وإدراجها** في سياقها التاريخي ونسقها الا**جتماعي.**

وفي الأخير لا يسعنا سوى أن نتقدم بالشكر والامتنان البالغ لكل من أمدنا بيد العون لانجاز هذا **العمل المتواضع.**

المبحث الأول : مدخل إلى التصوف.

أولا : أصل التصوف.

ثانيا: تعريف التصوف

ثالثا: نشأة التصوف وعوامل ظهوره.

أولا:

أصل التصوف.

يعتبر تحديد أي مصطلح تاريخي ضمن أي مجال معين من أدق إشكالات الكتابة التاريخية وهذا ما حدث مع تحديد مفهوم التصوف، ما استلزم منا وضع تمهيد مختصر للتصوف يوضّح معناه في اللغة والاصطلاح، ومن هنا:

يذكر السراج الطوسي "أن اسم الصوفية مشتق من الصوف ذلك بانهم لم ينفردوا بنوع من العلم بل هم معدن جميع العلوم،ولم ير تسمو برسم من الأحوال والمقامات دون رسم، ثم يقول نسبتهم إلى ظاهر اللبسة لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء"[1]، وقد وافقه في ذلك الكلاباذي في سبب التسمية فذكر أن الاسم مشتق عند جماعة من الصفة، التي بنيت في مؤخرة مسجد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصف الأول وقد عبر عن أسرارهم وبواطنهم، لأن الصف الأول حسبه لا يجلس فيه إلا من صفا سره وطهر قلبه[2].

ويذكر أبو نعيم " فأهل التصوف فاشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبارات، من الصفاء والوفاء، أما اشتقاقه من حيث الحقائق التي أوجبت اللغة فإنه كفعل من أحد أربعة أشياء وعلل ذلك – الأربعة أشياء – أما الصوفانة والصوفة والقبيلة الجاهلية أو صوفة القفاء أو الصوف المعروف"[3].

كل هذه الاشتقاقات والمعاني في تعيين لفظ الكلمة والقوم الذين اختصوا بها ردها القشيري في رسالته أن اشتقاق الاسم من حيث العربية قياس والأظهر فيه أنه كالقلب[4]، إذا فهو أدرك عدم استقامة الاشتقاق وصدق نسبتهم إلى الصوف، وقد برهن السهروردي (ت 632ه) أن تسمية الصوفية يرجع نسبة إلى صفة المسجد وإقبالهم على الله تعالى[5].

1- السّراج الطوسي (أبو نصر محمد بن أحمد ت378ه/989م): **اللمع في التصوف**، تحقيق عبد الحليم محمود، مكتبة المثنى، بغداد، 1960م ص40.

2- الكلا باذي (أبو بكر محمد بن إبراهيم ت380ه/990م): **التعرف لمذهب أهل التصوف**، تقديم يوحنا الحبيب، دار صادر، القاهرة، 2000م، ص28-34.

3- الأصبهاني(أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ت430ه/1039م): **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، تحقيق محمد أمين الخانجي، دار الكتاب العرب، بيروت، ط1، 1387ه/1967م، ج1، ص17-21 .

4- القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ت465ه/1068م): **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، تحقيق عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف، دار المعارف، مصر، 1995م، ج2، ص ص 550-551.

5- السهروردي (أبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد التّيمي ت632ه/1235م): **عوارف المعارف**، دار الكتاب العربي، لبنان، ط2، 1983م، ص60.

والحق أن التصوف مشتق من الصوف وهو القول الراجح الذي لا يلتفت من وفقه الله إلى غيره لأن اسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية [1].

ويذكر لنا المستشرق كارل بروكلمان أن الصوفية استعاروا من رهبان النصارى أرويتهم والتي بسببها **عرفوا بالصوفية**[2]، وهذا ما أكده نيكلسون أن لباس الصوف اتخذه الزهاد متشبهين برهبان **النصارى**[3].

ويذكر زكي مبارك "...إن لُبْسَ الصوف كان من تقاليد النصرانية، وهي في أصلها **تَصَوُّفٌ وروحانية...**"[4]، **ويزيد على ذلك** " بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يحب لبس الصوف تواضعا، وأن النبي عيسى عليه السلام كان يحب لبس الصوف تواضعا أيضا، وأن الرهبان في المسيحية والزهاد في الإسلام كانوا **يستحبون لبس الصوف**"[5]، **وليس بغريب هذا الأسلوب وهذا المنهج لأنه** داب اهل البدع عامة في محاولاتهم اليائسة المكشوفة **ربط مذاهبهم، وما هم عليه بالإسلام وشريعته،** وبسلف هذه الأمة تزيينا **لباطلهم**ليروَّجَ **بين الناس، وعن اشتقاق كلمة التصوف يذكر أنا تحمل أربعة فروض:**

الأول أن يكون منسوبا إلى صوفة الجاهلي، ويزعم أن التصوف والتنسك كان معروفا في الجاهلية باسمه ورسمه، ثم كانت له رجعة في الإسلام وأن هذا قد حصل في كثير من الآراء الأدبية والدينية **والاجتماعية**، والثاني أن يكون منسوبا إلى الصوف، والثالث أن يكون منسوبا إلى الصفا، والرابع أن يكون منسوبا إلى سوفيا اليونانية ومَرَدُّ هذا الفرض بالفلسفة الصوفية، حيث يفترض أن كلمة سوفيا اليونانية قد رحلت إلى معابد اليونان عن كلمة **صُوفٌ العربية الأصل، لأن التصوف قديم جدا عند العرب**[6].

1- **ابن تيمية** (أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله الحرَّاني ت728ه/1328م): **مجموع الفتاوى**، جمع عبد الرحمان ابن قاسم، **طبع** بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، السعودية، د.ت، ج11، ص6-16.

2- **بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1962م، ج2، ص83.

3- **نيكلسون رينولد: الصوفية في الإسلام**،ترجمة نور الدين شريبة، نشر مكتبة الخانجي، **مصر**، ط1، 1951م، ص3-4.

4- **مبارك زكي: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، دط، د ت، ج1، ص49.

5- نفسه، ص51.

6- نفسه، ص52،53.

ثانيا:

تعريف التصوف.

اختلف العلماء والمفكرون في أصل كلمة التصوف والصوفية وتعددت التعريفات حول هذا **اللفظ، إذ أصبح** لا يكتب احد في هذا المجال محاولا إقناعك، إذا كانت هذه التعريفات هي عبارة عن تخريجات من الكتب، نتعرض لها في طيات بحثنا ومعرفة مقصدهم من ذلك.

أولا في اللغة:

قال الخليل ابن أحمد[1] الصوف للضأن وشبهه، وزغبات القفا، وتسمى صوفة القفا، و الصوفانة بقلة زغباء قصيرة، و صوفة اسم حي تميم، وآل صوفة الذين كانوا يجيزون الحجاج من عرفات، وقال **ابن زكريا**[2] وهو الصوف المعروف، وصوفة قوم كانوا في الجاهلية يخدمون الكعبة ويجيزون الحجاج وقيل أن القبائل في الجاهلية تجمعوا وتشابكوا كما يشتبك الصوف وهذه الأقوال مذكورة عند الفير**وز أبادي**[3] **والأزهري** [4] ويشير ابن فارس إلى كون **(الصاد والواو والفاء)** أصل واحد صحيح وهو **الصوف المعروف**[5].

وقد قيل مصدر الفعل الثلاثي المصاغ من الصوف للدلالة على لبس الصوف ومن ثم كان المتجرد الحياة الصوفية تسمى في الإسلام صوفيا[6].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية(ت728هـ) أن تسمية الصوفية نسبة إلى الصوف ويستدل على ذلك ان القوم الاوائل مقتصرين في حياهم على الزهد **والتقشف ولبس الصوف هو لباس الزهادكما كان لباس الأنبياء أفضل الخلق الذين كانوا قانعين بالقليل من الطعام والدنيا ولباسها**[7].

1- **الفراهيدي** (أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد **بن عمرو بن تميم الأزدي** ت170 أو 175ه/786 أو 791م): **كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، دار الحرية، بغداد،** 1984م ، ج7، ص ص161-162.

2- **ابن فارس** (**أبو الحسن** أحمد بن زكريا ت395ه/1005م): **معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام** محمد بن هارون، دار الجيل، بيروت، 1991م، ج3، ص322.

3- الفيروز أبادي (أبو طاهر محمد بن يعقوب ت818ه/1421م): **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م، ص169.

4- **الأزهري** (**أبو منصور** محمد بن أحمد ت370ه/980م): **تهذيب اللغة**، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، **مصر**، 1967م، ج12، ص247.

5- ابن فارس: المصدر السابق، ص322.

6- **ابن تيمية** (أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله الحرَّاني ت728ه/1328م): **الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، دار الكتب** العلمية، بيروت، **دط، دت، ص** 24.

7- اللبلي محمد بر **كات: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري** ، دار النهضة العربية القاهرة، 1993م، ص5-6.

حيث يذكر السهروردي أن موسى عليه السلام عندما كلمه الله تعالى حيث كان يلبس جبة من صوف، **وقد قال الحسن البصري**" كان عيسى عليه السلام يلبس الشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى"[1].

وقد وافق السهروردي جمع كبير من العلماء أمثال الكلاباذي بقوله" **كان اختيارهم للبس الصوف** لتركهم زينة الدنيا "[2].

وقد ورد قول آخر يرجع كلمة الصوفية إلى الصف الأول بين يدي الله تعالى بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه ووقوفهم بين يديه[3].

وقيل في الأصل" **صفوي فاستثقل ذلك على اللسان وجعل صوفيا** "[4].

ولكن القشيري استبعد هذه الإحالة حيث ذكر أن المعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه **الإحالة**[5]، في حين لم يلتزم البعض الآخر بكلمة التصوف والصوفي فأطلقوا على المتعبدين الزهاد القابا عديدة مثل كلمة صوفانة وهي بقلة صغيرة تنبت بَرِّيا ويتقوت بها الصوفية في سياحاتهم وهي زغباء قصيرة [6].

وهناك ترجيح اخر على انها صوفة القفا وهي شعيرات نابتة في القفا لانعطافهم على الطاعات كانعطاف صوفة القفا عليه وهذه إشارات بعيدة على حد قول البادسي [7].

وهناك من قال أنا مأخوذة من كلمة " سوفيا " ومعناها في اللغتين اليونانية والهندية القديمة " **الحكمة** " ومنها اشتقت كلمة " **فيلاسوفيا** " والتي تعني " **فيلسوف** " هذه الكلمات معناها " محب

1- السهروردي: المصدر السابق، ص ص 60-65

2- الكلاباذي : المصدر السابق، ص28.

3- ماسنيون ومصطفى عبد الرزاق : **التصوف**، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، ابراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1984م، ص25.

4- السهروردي :المصدر السابق ، ص61.

5- القشيري: المصدر اسابق، ص126.

6- الأصبهاني: المصدر السابق ، ص17. يراجع: ابن منظور(أبو الفضل محمد بن مكرم ت256ه): لسان العرب، مج4، تحقيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف القاهرة، دط، د.ت، ص ص 2527-2528.

7- البادسي (عبد الحق بن اسماعيل ت أوائل القرن الثامن هجري): **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد** أعراب، المطبعة الملكية الرباط، ط2، 1993م، ص37.

الحكمة " والهندوس يطلقون كلمة الصوفية على رهبان البراهمة وحكمائهم الروحانيين الذين يهيمون في الغابات باحثين عن الحكمة والمعرفة والغاية عندهم الإتحاد بالله والفناء في ذاته [1].

اما المتصوفة في الإسلام فقد ظهرت في نهاية القرن الثاني للهجرة إذ يرى صاحب الرسالة القشيرية أن هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك **يقال له متصوف وللجماعة متصوفة.**

ولقد كان القشيري ينتقد كل هذه الآراء، إذ لا يرى الاشتقاق [2] فيقول أن التسمية غلبت على طائفة ولولا ذلك لما تعلقت بهما التسمية والاشتقاق في العربية يظهر فيه ويشهد لهذا الاسم.

يقول السبتي في ذلك:

تنازع الناس عن الصوفي واختلفوا *** فيه وظنوه مشتق من الصوف

ولست أنحل هذا **الاسم** غير فتى *** صافي فصوفي حتى لقب الصوفي [3]

ثانيا: في الاصطلاح

لقد قيل في تعريف التصوف الكثير لدرجة أنه يصعب إحصاء هذه التعاريف ويتجه الكثير من الناس في تعريف التصوف إلى الجانب الأخلاقي و هو الاتجاه الشائع عند الصوفية وعند غيرهم من **الباحثين والمؤرخين للتصوف ومن أمثلة ذلك** قول أبو محمد الجريري **(ت311هـ) عن التصوف " هو** الدخول كل خلق سني والخروج من كل خلق دنيء " [4].

وقال السري السقطي (ت322هـ)" التصوف تمام الأدب " [5].

وقال الكتاني(ت322ه): " التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفا " [6]

وقال الجنيد: " التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به "[7].

وقال الجيلاني: **" التصوف هو الصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق " [8].**

1- سفر بن عبد الرحمان الحوالي: **أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د.ط، د.ت، د.م، ص 58.** يراجع: طعيمة صابر: **دراسات في الفرق(الصوفية في ضوء العقيدة الإسلامية)**، المجلة التاريخية، **الفسطاط، مكتبة المعارف، الرباض، عدد01 جوان2007م، ص100.**

2- القشيري: **المصدر السابق، ص 126.**

3- البادسي: **المصدر السابق، ص38.**

4- القشيري: **المصدر السابق، ص83.**

5- **جاد الله عبد المنعم منال: التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص113.**

6- **عبد الحليم محمود: المنقذ من الضلال**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م، ص155.

7- **ابن فضل الله العمري** (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت 749ه): **مسالك الأمصار في ممالك الأبصار، السفر الثامن [طوائف الفقراء-الصوفية]**، تحقيق بسام محمد بارود، إهداء المجمع الثقافي، ابو ضبي، الإمارات، د ط، 2001م، ص101-110.

8- منال عبد المنعم: **المرجع السابق، ص 115.**

أما الكلاباذي: " فيذكر لنا عن التصوف من جعل مأخذه من الصوف **استتم** اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة وجميع المعاني كلها من التخلي عن الدنيا وعزوف النفس **عنها**" [1].

وترك الأوطان وصفوة الأسرار وانشراح الصدور وصِفة للسياق والعكوف عن العبادة والانقطاع إلى الله [2]".

والزهد فيما يُقْبِل عليه الجمهور من لذة ومَالْ وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان **ذلك عاما** في الصحابة والسلف، فلما **فشا** الإقبال على الدنيا في القرن الثاني هجري وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية و **المتصوفة** [3].

والتصوف ليس خلقا فحسب، ولا زُهْدا فقط، ولا عبادة لا يَغُوْ ، **وهو وإن كان متضمنا للخلق** الكريم، والزهد الرفيع فإنه مع ذلك شيء آخر [4].

ويمكن القول أن التصوف منذ بدايته نشأ بإتحاد الزهد في الدنيا، وزينتها والإقبال على الطاعات والاستزادة منها على الآخرة والعمل لها، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الصحابة **والتابعين الذين كانوا أزْهَدَ** الناس للحث على الدعوة الخالصة للإسلام[5].

وإذا نظرنا إلى تعريف الكتاني (322ه.) " **أن التصوف (صفاء ومشاهدة)** فإننا نجد عبارته مختصرة قد جمعت بين جانبين هما اللّذان يُكَوِنَانِ وحدة متكاملة في تعريف التصوف: الأولى وسيلة وهي الصفا، والثانية غاية وهي المشاهدة، والتصوف من هذا التعريف وسيلة وغاية، فالمشاهدة هي غاية الصوفي، ويسعى جاهدا، ولس عاكفا إليها بشتى الوسائل ليحقق بالفعلِ مضمونَ ما يلفظ به قولا أو ما يقوله حرفاً "[6].

"أمّا من أقبل على دراسة النفوس وآفاقها وما يرد على القلوب من خواطر، وحرصوا على الصيغة **المذهبية لقبوا بالصوفية**"[7].

1- **الكلا باذي**: المصدر السابق، ص 24.

2- بونابي **الطاهر**: **التصوف في الجزائر خلال القرنين6و7هـ /12و13م**، دار الهدى للطباعة والنشر **والتوزيع ، عين مليلة، الجزائر**(أطروحة ماجستير نوقشت في 25 جانفي 2000م قسم التاريخ جامعة الجزائر)، ص36.

3- **ابن خلدون** (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ت 808ه/1407م) : **المقدمة، مراجعة سهيل زكار**، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص611.

4- **عبد الحليم** محمود: المرجع السابق، ص163.

5- الصباغ عز الدين لمياء: **الصوفيون والتصوف في المغرب حتى القرن الرابع**، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مجلد07، العدد1/14، 1434هـ/2013م، ص3.

6- **عبد الحليم** محمود: المرجع السابق، ص164.

6- العبده محمد **وعبد الحليم طارق**: **الصوفية نشأتها وتطورها، دار الأرقم**، الكويت، د.ت ، ص5.

ويقول السيوطي" التصوف في نفسه علم شريف رفيع قدره، سني أمره، لم تزل أئمة الإسلام وهداة الانام قديما وحديثا يرفعون مناره، ويجلون مقداره، ويعظمون اصحابه، ويعتقدون اربابه فإنهم اولياء الله وخاصته في خلقه بعد انبيائه ورسله، غير انهم دخل فيهم قديما وحديثا دخيل **شبهوا م،** وليسوا منهم، وتكلموا بغير علم وتحقيق فزلوا، وضلوا، وأضلوا، فمنهم من لم يتحقق فقال بالحلول وما شابه، فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع، وقد نبه المعتبرون منهم على هذا الخطب، ونصوا على أن هذه الأمور السيئة من ذلك الدخيل[1]"

إذا فالقضية ليست قضية سلوك وإنما هي أساليب مستحدثة مخترعة في الرياضات الروحية، فغايتهم الاتصال بالله والبعد عن الناس، والذين اكتفوا بحسن الخلق والزهد في الدنيا والتأدب بآداب الشرع **لقبوا بالنساك، والزهاد، والقراء، والعباد.**

وخلاصة القول أن التصوف قسمان قسم ينحى نحو التربية وقهر النفس وتهذيب الروح، وهو ما أصطلح على تسميته باسم علم المعاملة، وقسم يسعى فيه الصوفي نحو المعرفة متخذا الرياضة الروحية والمحبة أساسان لعروجه نحو المقام الأسمى وهو ما يسمى بالطريق إلى المعرفة وهو الغاية.

1- **السيوطي** (أبو الفضل عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد ت911ه): **تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشادلية، تحقيق وتعليق** محمد حسني **مصطفى، دار** القلم العربي، **د.ت، ط1، ص08.**

ثالثا:

نشأة التصوف

وعوامل ظهوره.

أولا : النشأة

إن أي ظـاهرة اجتماعيـة لا يتسـنى فهمهـا إلا في الظـروف السياسـية والدينيـة **والاقتصـادية والاجتماعية** المختلفة التي أهلت لنشوء هذه الظاهرة وتطورها، ومن ثم كانت اهتمام العلماء العرب والمسلمين والمستشرقين بتحديد العوامل التي كانت وراء نشأة هذه الظاهرة فقد ظهر هذا اللفظ عند **عرب الجاهلية قبل ظهور الإسلام**[1]، فكان الإقبال على الدين والزهد في الدنيا غالبا على **المسلمين** في صدر الإسلام، ولم يكونوا في حاجة إلى وصف يمتاز به أهل التُقَى والعكوف على الطاعات والانقطاع إلى الله[2]، **فتسمى الجيل الأول بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما أدركهم الجيل** الثاني تسموا بالتابعين، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني هجري وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، قيل للخواص ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد، ثم ظهرت الفرق الإسلامية فادعى كل فريق أن فيهم زهاداً وعباداً[3].

في هذه الفترة انفرد خواص أهل السنة المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة، فاشتهر هذا الاسم قبل المائتين من الهجرة، ويعلل ذلك ابن خلدون أنه اسم مستحدث بعد عهدي الصحابة **والتابعين**[4].

فاستعمال لفظ الصوفي والمتصوف إذاً لم ينتشر في الاسلام إلا بعد القرن الثاني للهجرة وهو ما أكده شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته: **الصوفية والفقراء** "أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهورا في **القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك**"[5].

وقبل تحديد نشأة التصوف فقد درس المستشرق نيكلسون العوامل التي اختلف فيها العلماء، فذكر أن التصوف الاسلامي نشأ عن نزعة الزهد نتيجة المبالغة في الشعور بالخطيئة، والخوف الشديد من العقاب في الآخرة[6].

1- منال عبد المنعم: المرجع السابق، ص118.

2- ماسينيون ومصطفى عبد الرازق: المرجع السابق، ص ص51-53.

3- نفسه، ص ص 54-55.

4- عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، ص611.

5- ماسينيون ومصطفي عبد الرزاق: المرجع السابق، ص56.

6- نيكلسون: المرجع السابق، ص3-4.

ثانيا: عوامل ظهور التصوف:

أ- العوامل السياسية:

كان وراء نشأة التصوف هو اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول كثير من العادات والتقاليد الغريبة في الإسلام، وتخلي المسلمين تدريجيا عن كثير من أمور الدين والتكاسل عن أداء الفرائض والعبادات مع الإقبال على الملذات والترف، والنعيم، وشيوع مجالس الخمر والغناء، وكثرة أماكن اللهو، والتفاوت بين طبقات الأمة، نتج عنه شعور الشعب بالفراغ الكبير بينهم وبين حكامهم خاصة حين أصبحت الخلافة وراثية، فظهرت طائفة زاهدة متفهمة كرد فعل للترف والبذخ الذي سار في ذلك الوقت [1].

أيضا من العوامل السياسية الفتنة الكبرى وقيام الحرو ب بين أنصار علي وأنصار معاوية رضي الله عنهما، واضطراب الأحوال السياسية في ذلك العصر كان من شأنه انغماس بعض المسلمين في حياة العزل والعبادة والورع[2]، ومع حركة الفتح الإسلامي وتزايد مداخيل الدولة الإسلامية بدأ الثراء يظهر على المجتمع الإسلامي، هنا وجد بعض المسلمين الاتقياء من واجبهم دعوة الناس إلى الزهد والورع أمثال الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه الذي انتقد حياة الأمويين وأساليبهم في الحكم[3].

وهذا ما يظهر أيضا مع سياسة الموحدين في المغرب الإسلامي خاصة مع المهدي بن تومرت (ت 524هـ/1130م) بمظهره المتقشف الورع وبآرائه العقدية وإجبارية الأخذ بمذهب الأشعرية، فنتج عنه ظهور تيار صوفي يركز على المجاهدات (الصيام، الإخلاص،...الخ) فصار له جمهور في كل بلاد المغرب الإسلامي، برزت عندهم أفكار صوفية ذات طابع فلسفي كان لها الأثر العميق في تشكيل ما يعرف اليوم بالطرق الصوفية[4].

ب- العوامل الاقتصادية والاجتماعية:

كان للعوامل الاقتصادية آثار على نشأة التصوف لاسيما عندما يرى المعدم المال في يد غيره، فيشعر بالحرمان ويحس بالظلم الاجتماعي، فقد كانت المدن الإسلامية غنية بمحاصيلها الزراعية من

1- القرني علي عبد الحفيظ فرغلي: **التصوف والحياة العصرية**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984م، ص46.

2- يالجن مقداد: **فلسفة الحياة الروحية (منابعها و نشأتها، ونشأة التصوف والطرق الصوفية)**، دار الشروق، بيروت، ط1، 1986م، ص79.

3- الخشاب سامية مصطفى: **علم الاجتماع الإسلامي**، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1985م، ص ص 82-83.

4- بونابي الطاهر: المرجع السابق ، ص ص88-89.

حبوب وفواكه، كما تشكل مفترق للطرق التجارية، ومركز التجارة فكان القرن الخامس هجري أكثر القرون رخاء في العهد الإسلامي[1]، وكانت **تزخر بالمنتجات الزراعية والصناعية مثل النسيج**[2].

ومن هذه المنطلقات اتضحت قمة الثراء الاقتصادي للمدن ودورها في تحويل الناس إلى الاهتمام **بالمال، فاختل التوازن الاجتماعي وظهرت أفكار الصوفية، والرباطات**[*] التي كان لها الدور الجليل في نشر أفكار الصوفية وحركة الجهاد والمرابطة في المغرب الإسلامي فانتصب العلماء للتدريس فيها، فكان بدورهم المريدون ينتهون من الأخذ عن كبار المشايخ، ثم يعودون إلى بواديهم ويبدءون بنشر **الأفكار الصوفية**[3].

وخلاصة ما تقدم أن التصوف قد نشأ وترعرع في كنف طائفة من المتعبدين والزاهدين، لأن التصوف كان في بدايته مخالفة عامة الناس في ترك المباحات من الطعام واللباس والمسكن، واشتهروا بهذا اللفظ، فكان للعوامل السابقة الذكر الدور الكبير في النشاة والتطور، كما كان لاهمية هذه العوامل تأثيرها مجتمعة وليس في أثر كل منها على**حِدى**، أما إن حاولنا أن نُرجع نشأة التصوف إلى عامل واحد فلا نستطيع لأن نشأته تَرجع إلى جميع الظروف البيئية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أهلت لنشوئه.

1- بونابي الطاهر: المرجع السابق ،ص ص90-94.

2- حاجيات عبد الحميد: **عمر الهواري شخصيته وتصوفه**، مجلة الثقافة، العدد 88، سنة 15، وزارة الثقافة والسياحة، شوال- ذو القعدة، 1405هـ /1985م، يوليو-أغسطس، ص85. **يراجع: إدريس** الهادي روجي: **الدولة الصنهاجية** (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من ق10م إلى ق12م)، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1990م، ج2، ص90.

*-**الرِّبَاطات**: ورد ذكر الرباط في سورة آل عمران الآية 200 في قوله **يَاأَيُّهَا** الَّذِينَ آمنوُا إِصْبِرُوا وصابِرُوا ورابِطُوا واتّقُوا الله لَعَلَكُمْ تُفْلِحُون}، وفي سورة الأنفال الآية 60 {وَأَعِدُّوا لَهُمْ ماسْتَطَعْتُم من قُوةٍ ورِباطِ الخَيْلِ}، **والرباط مأخوذ من الفعل**"رَابَطْتُ أُرَابِطُ لازمت ويجوز أن يكون جمعه رُبِيَّطٌ كفصيلٌ أو قَصَال. **يراجع: الألوسي** (شهاب الدين محمد): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، نشر وتصحيح شكري الألوسي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1980م، ج10، ص25. أما من حيث المعنى فيرى الطبري أنَّ الرباط هو إرتباط الخيل للعدو ثم أطلقت على كل مقيم في ثغر مدافعا عن المسلمين. **يراجع**: الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت310ه/923م): **جامع البيان عن تأويل القرآن، مطبعة مصطفى** الباجي، القاهرة، ط3، 1954م، ج4، ص222، 223.

3- بونابي الطاهر: المرجع السابق، ص ص54-62. يراجع: منال عبد المنعم: المرجع السابق، ص120.

المبحث الثاني: ابن الزيات وكتابه التشوف.

أولا: ابن الزيات وعصره.

ثانيا: دراسة كتاب التشوف إلى رجال التصوف.

أولا:

ابن الزيات وعصره.

أ- المؤلف:

هو أبو يعقوب يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي المعروف بابن الزيات **العلامة الفقيه القاضي الأديب،** لم يدخل الأندلس صحب أبا العباس السبتي، ولقي ابن حوط **وحدث بكتابه التشوف الأستاذان الفاضلان أبو القاسم بن الشاط، وابن رشيد عن قاضي الجماعة** أبي عبيد محمد بن علي الشريف عنه إذناً، ألف التشوف إلى رجال التصوف وله تأليف في صلحاء **المغرب**[1].

يقول الفيروز أبادي **(729-817هـ)** في كتابه البُلغة في تاريخ أئمة اللغة ابن الزيات إمام في اللغة والنحو والأدب، له شرح المقامات للحريري سماه[نهاية المقامات في دراية **المقامات] وهو أحسن الشروح**[2].

أخذ ابن الزيات الأخبار عن أسانيد كانوا في قمم العلم في عصره ذكرهم في كتابه التشوف، واستنادا إلى ما أورده ابن عبد الملك المراكشي في سفر الغرباء من كتاب الذيل و التكملة.

أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجازولي[3] الذي كان قطبا في العلوم العربية وما يذكره المؤلف في كتابه التشوف أنه سمع منه خبرا عن و **اجاج بن زلو اللمطي**[4] **أيضا أخذ عن سند القاضي** أبي القاسم أحمد بن بقي الأموي القرطبي **(ت625هـ) الذي يذكر ابن الزيات أنه قرأ عليه كتاب العين للخليل الفراهيدي وروى عنه أخبار عن ابن بشكوال(ت578هـ)**، وأخذ عن السلالقي محمد بن عبد

---

(1)- ابن مخلوف (محمد بن محمد): **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349ه، ص185.** راجع: **السيوطي** (أبو الفضل عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد جلال الدين الشافعي، ت911ه): **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق** محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، ط2، 1979م، ج2، ص363.

(2)- الفيروز أبادي (**أبو طاهر** محمد بن يعقوب ت818ه): **البُلغة في تاريخ أئمة النحو واللغة**، تحقيق محمد المصري، **دار سعد الدين، دمشق،** ط1، 2000م، ص323.

(3)- **الجازولي**: أبو موسى عيسى بن عبد العزيز، الأستاذ الخطيب، جالب الكراسة المشهورة في العربية، لازم ابن حوط الله وأبي محمد بن بري نحوي الديار المصرية، توفي سنة سبع وستمائة. **يراجع: ابن عبد الملك** (أبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، تحقيق إحسان عباس،** دار الثقافة، بيروت، **ط1، 1973م، ص547.**

(4)- **اللمطي: واجاج بن زلو** من أهل السوس الأقصى، رحل إلى القيروان فأخذ العلم عن أبي عمران الفاسي، ولما عاد إلى السوس بنى دارا للمرابطين اصبحوا يتبركون بها. **يراجع: ابن الزيات** (يوسف بن يحيى التادلي، 617ه/1220م) : **التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي،** تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط2، 1997م، ص95.

العزيز بن خلف اللبلي النحو واللغة والتاريخ والشعر والذي أنزله المنصور الموحدي إلى حضرة مراكش في الجامع الأعظم للتدريس[1]، وقد أخذ هذه الأخبار الموجودة في كتابه عن خمسين من الرواة بلفظ سمعت فلانا، وحدثني فلانا، وكتب إلي فلان، ومعظمهم من إخوان المؤلف، وأصحاب الشيوخ المترجمين فقد ظهر في استقراء التراجم الموجودة في الكتاب أنه أكثر الرواية عن أشخاص معينين في أخبار مناطق معينة، فأخبار سجلماسة أخذها عن محمد بن أبي القاسم، وأخبار سبتة عن أحمد بن إبراهيم الأزدي[2]، **وأخبار تادلة عن عبد الله بن موسى، وأخبار دكالة عن داود بن عبد الخالق، أما** عن الطبقة التي سبقته فقد أخذها عن مترجمين سبقوه وقد سلك فيه منهج التحري **بالاتصال مع النقاد**[3].

توفي ابن **الزيات بكراكة**[4]سنة سبع وعشرين أو ثمان وعشرين وستمائة وهو قاضٍ **فيها ودفن فيها**[5] وقد ذكر الفيروز أبادي أنه توفي بعد الأربعين والخمسمائة[6]، وهذا غير معقول لأن التاريخ الذي ذكره الفيروز أبادي لا يتفق مع قول المؤلف **(ابن الزيات)** في قوله "أنه شرع في تصنيف الكتاب **سنة سبعة عشر** وستمائة، من شهر شعبان المبارك، وفرغ منه في الثاني عشر من شهر ذي القعدة[7]، **ولعل** الفيروز قصد بهذا التاريخ سنة اربعين وخمسمائة **سنة ولادة المؤلف**[8]، **و**يقول أدولف فور في الطبعة الأولى نُقل جثمان ابن الزيات إلى مراكش وأن القبة القائمة خارج باب الخميس بمراكش **وهو صاحب التشوف**[9].

1- **السلاقي**: محمد بن عبد العزيز بن خلف اللبلي: الإمام المفسر الأديب النحوي، أنزله المنصور الموحدي للتدريس في الجامع الأعظم بمراكش، وتأديب إبنه الناصر، توفي سنة إثنتي عشرة وستمائة. **يراجع**: ابن عبد الملك:**الذيل والتكملة، السفر السادس، ص395. يراجع**: ابن الزيات: **المصدر** السابق، ص10.

2- نفسه، ص213-222.

3- نفسه، ص 11 وما بعدها.

4- **ركراكة**: منطقة واسعة ما بين دكالة وحاحا كانت مرسى على البحر عند مصب وادي تانسيفت وصفها المؤلف بانها مقر العامل يجبي الخراج، **وفيها سجن ومسجد جامع. يراجع**: ابن الزيات: **المصدر** نفسه، الترجمة 180، ص350.

5- محمد مخلوف: **المصدر** السابق، ص185.

6- الفيروز أبادي: **البُلغة**، ص323.

7- ابن الزيات: **المصدر** السابق، ص83.

8- الفيروز أبادي: **البُلغة**، ص323.

9- ابن الزيات: **المصدر** السابق، ص 24.

ب– عصر ابن الزيات:

ب-1- الحياة السياسية والعسكرية:

عاش ابن الزيات في فترة يغلب عليها الفتن والثورات، والتفككات رغم التوسعات، **وتبدأ من منتصف القرن السادس** إلى منتصف القرن السابع الهجريين، وهو تاريخ ضعف الدولة الموحدية[1]، **فالروايات تصور لنا بداية** الانحدار من القمة إلى السفح، بعد فترة الخليفة الناصر(ت610ه/1213م) رابع الخلفاء الموحدين، الذي أثبت فشله في إدارة الدولة المترامية الأطراف، بمركزية متحكمة يوم عُين **خليفة على المغرب الإسلامي، بسلطات استثنائية** يوم توفي والده يعقوب المنصور، وأعقب ذلك الفشل الكبير أمام النصارى في الأندلس، يوم وقعة العقاب(609ه/1212م) الّتي كان فيها هلاك الموحدين والأندلس، ومع رجوع محمد الناصر إلى مراكش أخذ البيعة **لابنه يوسف المستنصر هذا** الأخير كان حديث السن لا حكمة له ولا تجربة ولا معرفة بالأمور فانقلب عليه بعض أشياخ الموحدين ووزراء أبيه، فلم تكن له أوامر نافذة، ولا حركة تشهر، ولم يخرج من حضرة مراكش طيلة فترة **حكمه**[2]، وازداد نفوذ أشياخ الموحدين فسيطروا على الإدارة، واستبد الولاة من بني حفص وبني **مرين، واختل الجيش واندثر الأسطول، فضعف** دولة الموحدين في أيامه واعتراها النقص إلاّ أن أيامه كانت أيام هدنة، فكانت الأندلس السباقة **للانفصال**، فقام أبو عبد الله محمد بن هود بمرسية **سنة**(625ه/1228م) وحكم تحت شعار العباسيين تقربا من العامة[3].

وقد نكث موحدوا مراكش بيعة المأمون بن المنصور الموحدي الذي اضطر إلى مغادرة الأندلس، **فخلى الجو لابن هود للسيطرة على معظم الجزيرة، وَيسّرَ إنقلاب المأمون على الدولة الموحدية** بانفصال الأندلس، إلى **استقلال** الحفصيين بإفريقية سنة(627ه/1230م)[4]، **وقد تكرس** انفصالها **يوم أعلن أبو عبد الله الحفصي سنة**(647ه/1249م) **نفسه خليفة ونازع الموحدين أنفسهم على السيادة**

1- **الدولة الموحدية:** نسبة إلى محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي (475- 524ه). **يراجع:** ابن أبي زرع (**أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي** ت 741ه): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور** للطباعة والوّرّاقة، الرباط، دط، 1972م، ص172.

2- ابن عذارى (محمد بن أحمد المراكشي، ت بعد 712ه): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين**، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ودار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م، ص236-265.

3-ابن عذارى: المصدر نفسه، ص276-289.

4- نفسه، ص290-296.

هذه الإنفصالات والانقلابات لم تسلم منها مراكش، فاستبد بها عرب بنو مرين[1] وأعلنوا العصيان عن الموحدين ، وعلى الرغم من الجهود الّتي بذلها الرشيد بن المأمون بن المنصور الموحدي، إلاّ أن الدولة لم تحافظ على هيبتها، فبدأ المغاربة بالبيعة والدخول في طاعة الحفصيين في إفريقية، والمرينيين في المغرب الأقصى[2]، ثم توالت الهزائم على الموحدين خاصة في الأندلس هزيمة أبي دانس سنة (614ه/1215م)، وكانت من الهزائم الّتي تقرب من العقاب، ثم قضى الحفصيين على آخر خلفاء الموحدين الواثق بالله[3]، و دخل بنو مرين مراكش، و أعلنوا نهاية حكم الموحدين فيها[4].

هذه المظاهر الدالة على الانحلال والضعف في المغرب الإسلامي، يقابلها في المشرق الإسلامي سقوط الخلافة العباسية (656ه/1258م)، وبروز دولة المماليك في مصر والشام.

ب-2- الحياة الاقتصادية والاجتماعية:

غلب على الحياة الاجتماعية مظهر التناقض، إذ في الوقت الذي يكثر فيه أنين الجوع والمرض في ظلام التعسف والطمع، تسمع في المقابل رنين الذهب والحلي، وأنغام الطرب واشتمام روائح الطيب والمطعم، تفوح من قصور الملوك والأغنياء، المنغمسين في دنيا السهر من فن الشعر والخمر، أهوال عانى منها المجتمع المغربي، وليدة أحوال سياسية متردية، نتج عنها سوء توزيع الثروات، مما أدى إلى بروز طبقتين متنافرتين، طبقة تعاني القحط والفقر، تمثل سواد الرعية[5]، وأخرى تعيش حياة الرفاهية والنّعيم، تمثل الخلفاء والأمراء، ومن يعيش في كنفهم، كالأدباء والعلماء والتجار، وأنكر العلماء الحالة الاجتماعية، فمثلا يذكر لنا صاحب الأنيس المطرب "أنه في سنة إحدا وسبعين وخمسمائة كان الطاعون الشديد بمراكش وأحوازها، وكان الناس يموتون فيه من غير مرض، فكان الرجل لا يخرج من

1- **بنو مرين:** نسبة إلى محمد بن ورزيز بن فكوس بن كرماط بن مرين، ويتصل نسبه بزانا بن يحي بن أبي الجيل، استنفرهم المنصور الموحدي إلى غزوة الأرك بالأندلس فشهدوها وأبلوا البلاء الحسن سنة إثنتين وتسعين وخمسمئة للهجرة. **يراجع: السلاوي** (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ت 1798م): **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954م، ج3، ص3-4.

2- ابن عذارى: المصدر السابق، ص299-306.

3- **الواثق بالله:** أبو دبوس إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن بن علي، فترة حكمه(665-667ه/1267-1269م)، **يراجع**: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص259-261.

4- نفسه، ص172.

5- دندش عصمت عبد اللطيف: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، 510ه : 546ه / 1116م : 1151م**، دار الغرب الإسلامي بيروت، **ط1، 1988م، ص288.**

منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه في براءة ويجعلها في جيبه، فإن مات حمّل إلى موضعه وأهله، وأنتها عدد الأموات بمراكش إلى ألف وسبعمئة رجل، وفيها كان الغلاء العظيم بالمغرب[1]".

أما صاحب البيان المغرب فيذكر لنا " وفي سنة ست وسبعمائة كان الغلاء العظيم والمجاعة التي شكاها الظاعن، والمقيم وتناها الحال في مزيد السعر إلى مالا نهاية له ... وكان للمستنصر بالله في هذه السنة فعل جميل وخير جزيل، وذلك انه لما علم ما حلّ بالمسلمين في بلاده من المجاهدة، وغلاء السعر، أمر بفتح المخازن المعدة لاختزان الطعام ... فذكر انها كانت بثمن للاقوياء وبغير ثمن للضعفاء[2]".

ب-3- الحياة الحضارية والفكرية:

من سمات عصر الموحدين في طور ازدهاره العمران الواسع؛ فقد أصلحوا الطرق ومدوا الجسور وأقاموا مدناً جديدة وأصلحوا أخرى قديمة، وشيدوا المدارس والمساجد والمستشفيات، ولعل أبرز معالم النهضة العمرانية في هذه الفترة تتجلى في عمليات جلب المياه للمدن والمؤسسات والمزارع، وفي الفنون الجميلة كالتزويق وعمل الفسيفساء، والحصون والمنارات[3].

ويمكن ربط ازدهار الحركة الفكرية إلى عدة عوامل منها: تشجيع الخلفاء والولاة للعلم والعلماء فالدولة الموحدية قامت على مبدأ ديني، قربوا إليهم رجال الدين والأدب حيث كرَّم عبد المؤمن الموحدي العلماء وأغدق عليهم بالعطايا والأموال، وجلب المنصور الموحدي الفقهاء والعلماء من الاندلس، وقربهم إلى مجلسه امثال ابن رشد(ت595ه/1198م)، والذّي قدمه في التدريس في المسجد الأعظم بحضرة مراكش، وأسسوا المدارس والمكتبات، ونظّموا خزائن الكتب ووفروا الحرية للفقهاء والعلماء والمتصوفة[4]، على عكس ما فعله نظرائهم المرابطون من إحراق كتب الغزالي[5].

---

1 - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص267.

2 - ابن عذارى: المصدر السابق، ص267.

3- منوني محمد: **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، المطبعة المهدية، تطوان، دط، 1950م، ص267، 270-272.

4- علي حسن حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"**، مكتبة الخاجي مصر، ط1، 1980م، ص446-447.

5- **ابن مريم** (أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد ت1025ه/1611م): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، نشره: محمد بن أبي شنب، قدم له: عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص310.

فزاد اهتمام الناس بالقرآن وعلومه والحديث وروايته فظهر مفسرون عظام أمثال أحمد بن مسعود القرطبي(**ت 601ه/1204م**)، ومحدثون كبار أمثال ابن القطان الفاسي(**ت628ه/1231م**)، **أما العلوم العربية** وادابها فقد اخذت حظا عظيما ويكفي ان نذكر ابا موسى الجازولي(**ت607ه/1210م**)[1].

وفي الزهد ابن عربي(**ت638ه/1240م**)، وفي الشعر الصوفي ابن حبوس(**ت570ه/1175م**)، **أما** في التاريخ فنجد مؤرخين كبار أمثال ابن عذارى المراكشي صاحب كتاب البيان المغرب(**ت بعد 712ه**)، وفي **الطب ابن البيطار**(**ت645ه/1248م**) وفي الجغرافيا نجد ابن سعيد الغرناطي صاحب كتاب المعجب في حلى المغرب(**ت685ه/1286م**)، ولم يكن حظ النساء في هذه الحياة الفكرية **بقليل، فقد** اشتركن في ضروبها بقدر غير يسير[2].

ويرجع كل هذا الثراء الفكري إلى إستقرار الأوضاع في البلاد **بإحكام الموحدون السيطرة على** المغرب والأندلس خاصة في عهد الخلفاء الأربعة الأوائل(**من عبد المؤمن** 526هـ إلى يوسف المستنصر **620ه، أي قرابة قرن من الزمن**)[3].

هذه الحركة العلمية دفعت الكثير من أبناء المغرب إلى **الارتحال بغية طلب العلم من منابعه** المختلفة سواء اكانت إلى الاندلس او إلى المشرق بداية من ابن ياسين المرابطي، ونهاية عند ابن تومرت الموحدي، هذا من الناحية الأولى أما من الناحية الثانية فقد كان المغرب الأقصى زمن **الموحدين يعج بالعلماء والأدباء بفضل سياسة الخلفاء كما ذكرنا سابقا**[4].

أمّا مع مطلع القرن السابع هجري دخلت الدولة الموحدية طور الانحلال **والتدهور فتوقفت** حركة العمران، وأصاب الدمار ما شيّد في طور **الازدهار والرقي، وذبلت الحياة الفكرية فانتقل الأدباء** والشعراء والعلماء إلى تونس ومصر والشام[5].

1- عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص54،55.
2- الفوتي محمد: المرجع السابق، ص29، 33-35.
3- عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، ص341.
4- عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص56.
5- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص182.

ثانيا:

دراسة كتاب التشوف إلى رجال التصوف.

اعتبر كتاب التشوف من الكتابات المبكرة في التصوف الإقليمي هذا ولا شك جاء بتأثير كتابات شاة اهتمت بنفس الموضوع في مناطق وأقاليم إسلامية أخرى سواء بالمشرق أو الأندلس، إضافة إلى ما يتضمنه الكتاب من أخبار الرجال الذين تنتهي إليهم معظم الأسانيد الصوفية في المغرب الأقصى، يعثر الباحث في التاريخ الاجتماعي وبالذات في التراث الشعبي على العديد من المعلومات والإشارات التي لا سبيل للاستغناء عنها. ولتوضيح هذه النقطة أكثر سنقوم بجرد العديد من المواضيع التراثية التي ترد بمتن هذا الكتاب في سياقات غير مباشرة في الغالب الأعم.

عنوان الكتاب: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي.

مؤلفه: أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات (ت627ه- 1231م).

موضوعه: تراجم عدد من الصلحاء والمتصوفة، جلهم مغاربة عاشوا خلال القرنين الخامس والسادس هجريين الموافق ل الثاني عشر والثالث عشر ميلاديين.

حققه : الأستاذ أحمد التوفيق .

منشورات: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم: 22 الطبعة الثانية 1997م.

بدأه بالبسملة (بسم الله الرحمان الرحيم)، ثم معومات كاملة عن الكتاب تعتبر بطاقة فنية احتوت على ما يلي:

-لون الغلاف بنفسجي.

الصفحة الأولى عليها رسم دائري به شعار المطبعة، وبجانبه عبارة(منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، في إطار سلسلة بحوث ودراسات، رقم22)، وفي منتصف الورقة اسم الكتاب، والكاتب كاملا مع ذكر اسم المحقق، ورقم الطبعة، وسنة الطبع[1].

1- ابن الزيات: المصدر السابق، صفحة ما بعد الغلاف.

أما في الصفحة الرابعة فقد **احتوت** على معلومات تخص أصحاب الحق القانوني جاءت كما **يلي:**

الكتاب: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي.

المؤلف: أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي.

المحقق: أحمد التوفيق.

الناشر: منشورات كلية الآداب بالرباط.

سلسة: بحوث ودراسات.

الغلاف: إعداد عمر أفا.

الخطوط: بلعيد حميدي.

الطبعة: الثانية 1997م.

الحقوق: محفوظة للكلية بمقتضى ظهير 29-07-1970.

الطبع: مطبعة النجاح الجديدة _ الدار البيضاء

الإيداع: القانوني 1997/1956.

ردمك: ISBN 9981-825-98-0

التسلسل الدولي: 1113-0369.

طبع هذا الكتاب بدعم من برنامج

التعاون بين الكلية ومؤسسة كونراد أدناور[1].

وقد جاء بعد ذلك مقدمة الطبعة الأولى من تحقيق الأستاذ أحمد التوفيق، **ابتدأها بذكر سنة** صدور الطبعة الأولى والجهة المسؤولة عن الطبع ومصححها **"طبعة 1958م" ضمن مطبوعات معهد** الأبحاث العليا **المغربية تصحيح الأستاذ أدولف وكيف تم التحقيق لأول مرة، وما هي قيمة الكتاب، وذكر كذلك المحقق أخبار عدد من المتصوفة** والاخطاء التّي جاءت بها الطبعة الاولى مثل: **أزمور، أسفي ، أغمات، أمغار.. وكيف صوب المحقق تلك الأخطاء: آزمور، آسفي، آغمات، آمغار**[2].

1- ابن الزيات: المصدر السابق، ص4.

2- نفسه، ص5.

وذكر أحمد التوفيق أيضا ما جاء بعد ذلك من محاولات لطبع نسخ جديدة لهذا الكتاب، وما **ميز تلك المحاولات**[1].

وقد أورد المحقق مجهودات كلية الآداب في نشر طبعة ثانية للكتاب، نظرا لنفاذ نسخ **الطبعة** الأولى أو كادت تنفذ، و **السبب الذي جعله يقدم على دراسة كتاب التشوف (دراسة تاريخ هسكورة** في العصر الوسيط)، ثم ذكر المحقق الإشكال المطروح عن التعريف بالحضرمي الذي نُقل عنه ترجمة **المؤلف**[2].

وقد أورد مصادر كتاب التشوف والأسانيد التيّ أخذ عنها ابن الزيات، والمكانة العلمية لابن الزيات، والمدة التي قضاها ابن الزيات في تحرير كتابه التشوف، وعدد من تُرجم لهم وظرفية تأليف **الكتاب، وهل أن الكاتب ترجم لجميع الصلحاء أم لا**[3].

ثم ذكر **الكاتب عن تأثر ابن الزيات** بالمؤلفين المشارقة كأبي نعيم الأصبهاني(ت430ه)، **وعن** أصل مادة التشوف التيّ لا مصدر لها إلا الرواية، ونسب المؤلف، ثم طرح إشكالا عن الأسماء الشائعة في ذلك الوقت، ثم أكد أصل الأسماء من قبيلة المصامدة ، وقيمة والد التادلي بالنسبة له، وكيف صاحب أبي العباس السبتي، وقد ذكر أيضا النسخ التي **اعتمدها** المحقق في ترجمة أبي العباس السبتي[4].

ثم ذكر لنا وفات ابن الزيات والمنطقة الّتي توفي فيها وموقعها الجغرافي، وأهمية الكتاب في حياته **وبعد مماته، وأسباب اهتمام المؤرخين بالكتاب**، وتعدد النسخ ومكان تواجدها، في كل من الخزانة **الحسنية بالرباط وا ثلاث نسخ هي:**

أولا: نسخة أصلها من الخزانة الزيدانية رقم 11759، ورمزها هو: ز.

ثانيا: نسخة رقمها 1076 ورمزها في التحقيق: م.

ثالثا: نسخة رقمها 4354 ورمزها في التحقيق: ح.

1- ابن الزيات: المصدر السابق ص6.

2- نفسه، ص7-10.

3- نفسه، ص11-14.

4- نفسه، ص15-23.

ثم الخزانة العامة بالرباط فدخلت إليها عدة نسخ بعد صدور الطبعة الأولى هي:

أولا: نسخة كانت في ملك عبد الحي الكتاني ورقمها كتا 56.

ثانيا: نسخة رقمها ج 859 مكتوبة بخط اندلسي عدد ورقاها 223 كانت موجودة بخزانة الباشا الكتاني، **وتوجد نسخة رقمها ج** 878 **نسخت عام** 1230م، **والثانية رقمها ج** 62 **دون تاريخ النسخ.**

وقد ذكر أنه في **خزانة القرويين بفاس توجد نسخة رقمها** 713 **ذكرها العابد الفاسي** في فهرسه الجزء الثاني ص313 **، كما توجد نسخ أخرى تحت عدد** 684، ورمزها في التحقيق: **ق.**

وتوجد نسخ أخرى عددها المحقق في كل من خزانة تطوان رقمها 513، **وزاوية تانغملت رقمها** 435[1].

أما النسخ الخاصة فذكر لنا المحقق:

أولا: نسخة الأستاذ محمد المنوني وهي نسخة عتيقة الورق والخط، دون تاريخ النسخ رمزها في التحقيق: **غ.**

ثانيا: نسخة الأستاذ محمد **إبراهيم** الكتاني توجد نسخة مصورة منها في خزانة كلية الآداب ورمزها في التحقيق: ك، ثم ذكر الأخطاء الواردة في طبعة فور ورمزها في التحقيق: **ف، وقد وضع خريطة تقريبية لمواقع** القبائل والأماكن والرباطات ومدافن المترجمين المذكورة في الكتاب[2].

وألحق بعد ذلك ترجمة خاصة بأبي العباس السبتي وهي في الأصل ليست من كتاب التشوف لأن المؤلف قد وضعها تأليفا خاصاً للأسباب الّتي شرحها في مقدمة الترجمة، ونسخها متوفرة بكيفية **مستقلة أو ملحقة** بالتشوف في مجلد واحد بمعظم المخطوطات المشار إليها سابقا، **اعتمد** في إخراجها على نسختين هما:

أولا: نسخة ملحقة بنسخة التشوف بالخزانة الملكية تحمل رقم 1076 **ورمزها: م.**

ثانيا: نسخة ملحقة بنسخة التشوف الأميرية بالخزانة العامة ورمزها: **س.**

1- ابن الزيات: المصدر السابق ص23-28.

2- نفسه، ص28، 29.

وفي آخر مقدمته ذكر واجب الشكر لكل من محمد القبلي، ومحمد حجي، وحسن مكوار، ومحمد المنوني، ومحمد إبراهيم الكتاني، على عملهم من أجل إخراج هذه الطبعة، وكذلك لكل من ساعده (المحقق) ببعض التحريات الميدانية، وخص بالذّكر الشريف مولاي إدريس عزيزي سمير، وذيله بذكر مكان وتاريخ التحقيق " الرباط في الفاتح أكتوبر 1983"[1].

أما فيما يخص كتاب التشوف الذي بين أيدينا كان الكتاب من تراجم الرجال الذين تنتهي إليهم معظم الأسانيد الصوفية في المغرب الإسلامي والمقدر عددهم277 سبع وسبعون ومائتين متصوفا وهو طبعة 1997م في 544 صفحة لمؤلفه " ابن الزيات ".

مقدمة ابتدأها بعبارة " بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما "، جاء فيها ذكر فضل أهل المغرب في حفظ الدين وتمسكهم بالحق، حيث استدل بجملة من الأحاديث النبوية الشريفة نذكر منها حديث سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق في المغرب حتى تقوم الساعة، ذكره أبو ذر بن أحمد الهروي بسنده ولفضه: لا يزال أهل المغرب ظاهرين عن الحق حتى تقوم الساعة"[2]، كما قارن ابن الزيات بين بغداد ومراكش في الإقامة، وهنا يذكر أسباب التأليف متحريا في نقل ذلك عن أهل الثقة والأمانة والخير والصلاح والمستورين، ثم ذكر تسمية الكتاب، وبين اشتقاق كلمة التصّوف والصوفي والمتصوف، وقد قال أنه جرد كتابه من علوم التصوف، لأنه على حد علمه فإن أبي حامد الغزالي هو المنتهى في التصوف، وأورد له بذلك صفته في التصوف، وذِكر كراماته، وكرامات وعجائب اخبار جملة من المجهولين والمجهولات، والفائدة في ذكرهم بقوله وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ [3] ، ومتى شرع في تصنيف الكتاب، وأنه لم يتعرض فيه لأحد من الأحياء بل الأموات فقط[4].

1- ابن الزيات: المصدر السابق ص29، 30.
2- نفسه، ص31، 32.
3- سورة هود الآية 120.
4- نفسه، ص33-43.

وقد جاء الكتاب في سبعة أبواب مقسمة كالتالي:

الباب الأول: في صفة الأولياء

بدأه المؤلف بذكر خروج أبو بكر البزاز **عن ابن عباس حيث قال أبو بكر: قال رجل"يا رسول الله: من أولياء الله ؟ قال الذين إذا رؤوا ذكر الله"**[1]، وخرج أبو عيسى الترميذي عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاد ذو حظ من الصلاة أحسن** عبادة ربه، وأطاعه في السر، وكان غامضا في الناس، لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك، ثم نقر بيده فقال: **عجلت منيته، قلت بواكيه، وقل تراثه"**[2]، **وعن أنس بن مالك عن** النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الأبدال **فقال: كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه من المؤمنين** واحد، بهم يحيي الله الموتى، وبهم يصرف الافات عن الارض، وبهم يميت الاحياء، وبهم يسوق الماء إلى الأرض الجرز، قالوا: **يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما به نالوا ذلك، ولكن نالوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور** قالها ثلاث مرات[3]، ثم ذكر المحقق حديث النبي صلى **الله عليه وسلم عن صفة الأولياء وكيف اكتسبوها**[4].

الباب الثاني: في حفظ قلوبهم وترك التكبر عليهم

ذكر فيه قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر والتساؤلات التي وقعت بينهما سورة **الكهف**[5]، ثم ذكر فضل الصحابة كبلال وصهيب وغيرهم رضي الله عنهم وختمه بتبيان من عادى أولياء الله، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله تبارك وتعالى: قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل** حتى أحبه... إلى أخر الحديث"[6]، ثم أتبعه المحقق بحديث آخر يذكر فيه قصة بكاء معاذ بن

1- سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، الباب 4.

2- نفسه، الباب 14.

3- أحمد بن حنبل: **المسند**، ج1، ص112.

4- ابن الزيات: المصدر السابق ص45

5- سورة الكهف الآية 65.

6- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.

بن جبل رضي الله عنه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، شارحا سبب البكاء مقولة النبي في ذكر شرك من عادى أولياء الله[1].

الباب الثالث: في محبتهم

حيث ذكر في هذا الباب خبر خروج أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم "الأرواح جنود مجندة تطوف بالليل فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فقوله تطوف بالليل زيادة على ما ذكره مسلم بن الحجاج"[2] وقد خرّ ج الترمذي عن أنس بن مالك قال:"قال رسول الله المرء مع من أحَبْ وله ما اكتسب"[3]، وقد ذكر المحقق أحاديث أخرى كحديث الترمذي عن معاذ بن جبل عن النبي " قال: سمعت رسول الله صلى الله عله وسلم يقول: قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم مناظر من نور يغبطهم النبيون والشهداء"[4].

الباب الرابع: في زيارتهم ومجالسهم

حيث استدل المحقق بعدة أحاديث عن زيارة وجالسة الأولياء والصالحين منها حديث مالك بن أنس رضي الله عنه عن معاذ قال: سمعت رسول الله يقول: قال الله تبارك وتعالى "وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتباذلين فيّ والمتزاورين فيّ"[5]؛ وحديث أبي هريرة عن النبي(ص) "عن الملَك الذي أرسله الله تعالى في طريق رجل أراد زيارة أخاً له في قرية أخرى، فقال الملَكُ للرجل إني رسول الله إليك قد أحببتك كما أحببته فيّ"[6].

الباب الخامس: في حسن الثناء ووضع القبول لهم في الأرض

بدء هذا الباب بحديث النبي صلى الله عليه وسلم يبين فيه أهل الجنة من أهل النار والناس الأخيار من الأشرار ومتى نعرف أنفسنا أننا أخيار عندما يثني علينا الناس، ثم ختمه بمتى تكون البغضاء في الأرض حيث استدل على ذلك بحديث مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه

1- ابن الزيات: المصدر السابق، ص46-47.

2- صحيح مسلم، كتاب البر، حديث 159 ،160.

3- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله: المرء مع من أحب.

4- صحيح مسلم، :كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله، حديث حسن صحيح . يراجع: ابن الزيات: المصدر السابق ص47، 48.

5- مالك بن أنس: الموطأ، 1735.

6- صحيح مسلم، المصدر السابق، باب فضل الحب في الله.

وسلم "...وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه؟ قال: فيبغضه جبريل؛ ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه؟ ثم توضع له البغضاء في الأرض"[1].

الباب السادس: في إثبات أحوالهم

جاء في هذا الباب عدة أحاديث تتكلم عن إثبات أحوال الأولياء نّذكر منها حديث البخاري عن أبي هريرة قال: مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:"يا أبا هر؟ فقلت: لبيك يا رسول الله قال:(إلحق أهل الصفة فادعهم) قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا إلى أحد..."[2]، ويذكر المحقق في هذا الباب لبس المرقعات لمن لا يجد غيرها، فقد لبسها الصحابة رضوان الله عنهم كمصعب بن عمير؛ وذكر المؤلف حديث عمر رضي الله عنه" أنهى عبد الرحمن بن عوف عن لبس الحرير"[3]؛ وذكر أيضا سفر الأولياء في كل رمضان إلى رباط شاكر، وأن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاث مساجد وهي المسجد الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، ومسجد إيلياء، وختم هذا الباب بشرح الآية الكريمة من سورة مريم[4].

الباب السابع: في إثبات كرامتهم

حيث ذكر أن كرامات الأولياء جائزة عقلا ومعلومة قطعا وتبيان أن المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء، وقد استدل بعدة أحاديث منها حديث إمام المتكلمين القاضي أبو بكر بن الطيب: فقال: إن المعجزات تختص بالأنبياء، والكرامات تكون للأولياء، وذكر حديث الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: أما كرامات الأولياء فجائزة عقلا،وواردة سمعا، ومن أعظم كرامات الله تيسير أسباب الخير، وإجراؤه على أيديهم، وتعسير أسباب الشر عليهم"، وختم هذا الباب بقوله تعالى{إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً }[5].

1- صحيح مسلم، مصدر سابق، حديث157. يراجع: ابن الزيات: المصدر السابق، ص49، 50.
2- صحيح البخاري، مصدر سابق، باب17.يراجع: الأصبهاني: المصدر السابق، ج1، ص338.
3- صحيح البخاري: الجنائز والهبة وبدء الخلق وفضائل الصحابة، ص299-300.
4- سورة مريم الآية 3، 5، 6.
5- سورة الأنفال الآية 29، يراجع: ابن الزيات: المصدر السابق، ص54-56.

ثم ذكر بعد ذلك فصولا تتكلم عن الكرامات وبمن تختص(أهل اليقين)، ومصادر الكرامات، وأهل الدعاء المستجاب[1].

ثم بدأ الكاتب في ذكر تراجم الأولياء والصالحين بدءاً من أبو عبد الله محمد بن سعدون القيرواني إلى أبو عبد الله محمد بن علي العمراني[2].

ثم جاء بعد ذلك الملحق المضاف لتراجم هؤلاء الصالحين الخاص بأخبار أبي العباس السبتي حيث بدأه بعبارة " بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله "وقد ذكر فيه ترجمة ونظرة الناس إليه فمنهم من يراه قطبا من الأقطاب ومنهم من يراه كافرا ومنهم من يراه مبتدعا ومنهم من يراه سامٍ ، ثم ذكر بعد ذلك أبواب متعلقة به كباب في أصول مذهبه، وباب في ابتداء أمره، وباب في ذكر فضائله، وباب في ذكر أخباره، وباب جامع لمنازعه[3].

أورد الكاتب بعد ذلك فهارس كتاب التشوف إلى رجال التصوف مرتبة كما يلي:

فهرس الآيات القرآنية، فهرس الحديث، فهرس القوافي، فهرس الكتب، فهرس الأعلام المذكورين عرضا، فهرس الطوائف والجماعات، فهرس الأماكن، فهرس أصحاب التراجم[4]

وقد جاء الدور على ذكر فهارس أخبار أبي العباس السبتي وهي أيضا مرتبة كما يلي:

فهرس الأعلام، فهرس الطوائف والجماعات، فهرس الأماكن[5].

ثم بعد ذلك ذكر مراجع التحقيق والفهرس العام[6].

1- ابن الزيات: المصدر السابق، ص56-82.
2- نفسه، ص83-450.
3- نفسه، ص451-477.
4- نفسه، ص479-532.
5- نفسه، ص533-537.
6- نفسه، ص538-544.

ثانيا: الدراسة النقدية:

أ- نقد أسلوب ابن الزيات:

ما يؤخذ على ابن الزيات في كتابه أنه **اهتم** بذكر رجالات التصوف في الجنوب إلى حدود سنة 517ه/1123م، فلذلك نجد أن عبد الحق البادسي الذّي جاء بعده أدرك النقص الواضح في التعريف **بصلحاء** الشمال في المغرب خصوصا في الفترة الممتدة مابين القرنين السادس والسابع هجريين و القرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلادي، وذلك في كتابه الموسوم بالمقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، ومنه يمكن القول أن البادسي **استدرك ما فات ابن** الزيات في ذكر **صلحاء الريف، حيث يلاحظ أن ابن** الزيات في كتابه قد أهمل ما **تقدم المصنفين والكتاب**[1]، **فذكر** جملة من صلحاء المغرب بأدب بارع، وهذا ما نجده عند أبي نعيم في الحلية، بأسلوب السجع، ثم الحديث عن ذكر موطن المترجم، والقبيلة أو المدينة الّتي ينتمي إليها، ويذكر الزوايا الّتي قرأ فيها، أو الزوايا التي تتلمذ بها، والشيوخ الذين اخذ العلوم عنهم، وما له من تلاميذ ومريدين، والكرامات التي شوهدت له أو رويت عنه، وربما يشير إلى تاريخ مولده ووفاته، وقد **التزم** بعد كل ترجمة أبياتا ضمنها ما للمترجم من مناقب وحلى[2].

ب- قيمة الكتاب :

يعتبر أهم مصدر منقبي وسيطي كتب في العهد الموحدي زمن الخليفة أبي يعقوب يوسف المستنصر بالله بن محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور، ويمكننا القول إنه يمثل نصاً تأصيليا **وتأسيسيا للتأليف** الصوفي بالمغرب الإسلامي، لاسيما وأنه يعتبر لحد الآن من أقدم النصوص في **باب** التصوف خصه صاحبه لترجمة جملة من الأولياء والصالحين مما يعني أنه يدخل في صنف كتب التراجم **العامة**[3]، وإذا أخذنا بعين الاعتبار ظرفية تأليف الكتاب في المدة الزمنية بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي، فقد شكل لنا منعطفا حاسما في التاريخ الإسلامي **بالمغرب الأقصى اشتمل** على الجانب الاجتماعي والفكري والسياسي فهو يضعنا أمام رصيد تاريخي مغرٍ، وهام فسر لنا

1- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية: مقال بعنوان: **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، نشر بالإنترنت، يوم الخميس 02 فيفري 2012م، ص2، 3.

2- البادسي: المصدر السابق، ص8،7.

3- الجيلالي كريم: **الرابطات والرباطات في المغرب من خلال كتاب التشوف**، مقال إلكتروني، **نشر** في الانترنيت، **يوم** 12محرم 1427ه/ 11فيفري 2006م، ص3، 4.

الاهتمام المتزايد بكرامة المتصوفة، وقد جرده ابن الزيات من علم التصوف واقتصر فيه على أخبار **رجال المتصوفة مستقرءاً إياها** (التراجم) **بالرواية الشفوية والسند** في فهارس كبار الأعلام وكنموذج لذلك ثبتت رواية عبد الحي الكتاني، واختصاره كما فعل أحمد بن علوان المصري(**ت787ه**)، وأحمد بن عبد الله السملالي(**ت1093ه**)، أو نظم رجاله كما فعل أحمد بن عبد القادر التستاوني(**ت1127ه**)[1].

أما الاهتمام الكبير الذي لقيه هذا الكتاب **فيبدوا** في كثرة النقل عنه من الذين كتبوا التراجم **والمناقب وعلى سبيل المثال صاحب جذوة الاقتباس وصاحب سلوة الأنفاس وصاحب الإعلام بمن** حل بمراكش، أما عن التأليف والنسج على منواله في سرد أخبار الصلحاء فيظهر لنا كتاب أخبار صلحاء الريف لمؤلف مجهول[2].

وقد حضي هذا الكتاب بالاهتمام الكبير لدى الباحثين أمثال محمد حجي ومحمد القبلي من خلال كثرة نسخه الموجودة في الخزانات العامة والخاصة وهذا ما جعله يتعرض لكثير من المغالطات لاسيما فيما يتعلق بأسماء الأشخاص والأماكن[3].

وكان النص منذ نشره محل قراءات متعددة ومتمحصة و متفحصة تنم عن غناه على الصعيدين المحلي والإنساني فهو لوحات لإعلاء قيّم لا تبلى وأسلوب نبيل صنع به المؤلف أجنحة التحليق في سماء الصوفية الروحانية لضعفاء من الناس كانوا في حساب دائم مع النفس[4].

ولكن بعد نفاذ الطبعات الأولى للكتاب تشوف القراء والباحثون إلى تشوف جديد من خلال تحقيق آخر يكون قادراً على فتح مغالق هذا النص التراثي الفريد الّتي أفلتت من التحقيقات الأولى، خصوصا لما ظهرت نسخ أخرى فيها الكثير من التصحيف والغلط، لما تضمنه المتن من أسماء الأعلام البربرية صعبة النطق والضبط وهذا ما ظهر في طبعة 2010م **الجديدة**[5].

1- ابن الزيات: المصدر السابق، ص24، 25.

2- نفسه، ص26.

3- نفسه، ص26.

4- **نفسه**، صفحة الغلاف الأخيرة.

5- الجيلالي كريم: **المرجع السابق**، ص4،5.

المبحث الثالث: المتصوفة بين السلطة والمجتمع

أولا: الحضور السياسي.

ثانيا: التفاعل الاجتماعي.

أولا:

الحضور السياسي.

لقد شكل التيار الصوفي في معظم مراحل تاريخ المغرب الإسلامي، على عصري المرابطين والموحدين قوة اجتماعية هامة، فرضت على المؤسسة الحاكمة إتخاذ حسابات دقيقة في اختيار أساليب التعامل معها بناءً على أوضاعها السياسية، والاقتصادية، و اعتبارا لما المذهبية والعقدية، فأخذت شكل الاصطدام والمواجهة بالعنف والبطش أحيانا، وشكل الاحتواء والتقارب وكسب الود أحيانا أخرى، وبناءً على ذلك اتخذت علاقة الطرفين شكلين متناقضين؟ فما هي طبيعة هذه العلاقة؟ وما هي أبعادها؟.

تؤكد معظم النصوص والروايات الصوفية إثبات صور النفور والتباعد التي أطرت علاقة السلطة بالمتصوفة [1]، وخاصة خلال الأربعين سنة الأخيرة من عمر الحكم المرابطي – أي من بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، إلى سقوطها سنة(541هـ/1146م) – حيث شهدت دولتهم اضمحلالا اقتصاديا وتقهقرا سياسيا وإداريا، وانحلالا أخلاقيا، وتمايزا طبقيا، جعل الفقهاء المتحالفين مع السلطة، ينبهون امراء الدولة وولاتها إلى خطورة التيار الصوفي، الذي صار قوة اجتماعية، بالإضافة إلى أشكال السلوكات التي يست خدموا لتعرية هذا الواقع المتأزم[2]، مما أدى إلى توتر العلاقة بينهما، ونفور معظم المتصوفة من الأمراء المرابطين، فالمتصوف أبو بكر بن يحي بن محمد (ت560هـ/1165م) "لم يمش قط بقدمه في مظلمة ولا إلى باب سلطان"[3].

وتبرز بعض الروايات، ما اعترى بعض المتصوفة من ندم نتيجة تقرم من السلطة المرابطية، فقد آثر عن المتصوف ابن محمد بن الأمان (ت540هـ/1146م) قوله" كانت لي احوال فقدتها من يوم اجتماعي بالسلطان وحديثي معه"[4].

وهناك أيضا من النصوص ما تثبت مواجهة بعض المتصوفة للأمراء المرابطين في شكل مباشر، حيث اعترض علنا، تميم بن يوسف بن تاشفين لم آخذ سلفة من مال أحباس جامع تلمسان[5]، واستنكر أن يرده " من ماله الخبيث "[6] .

---

[1]- القبلي محمد: **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط**، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1987م، ص38-41.

[2]- بونابي الطاهر: المرجع السابق، ص196.

[3]- ابن الزيات: المصدر السابق ص297.

[4]- نفسه، ص152.

[5]- **تلمسان**: هي مدينة أزلية، ولها سور حصين الوثاق وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور، وإحدى المدينتين بناها المرابطون وهي تاقرارت ثم وضعها بالخصب ورخص المعيشة وكثرة الخيرات. **يراجع**: الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد ت 704ه/1304م): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص60.

[6]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص111.

وفي السياق نفسه كتب أبو يعزى يلنور بن ميمون(ت572هـ/1177م)[1]إلى والٍ جائر بضع كلمات، يهدده فيها ويعده بالهلاك إذا لم تجد التوبة إلى قلبه سبيلا[2].

لذلك بات بديهيا أن يتعرضوا للقمع والاضطهاد والملاحقة، واعتمدوا في ذلك على الدسائس، والمناورات، مستخدمين في ذلك الفقهاء، بحيث أخذوا يراقبون تحركات الصوفية، ومنعوا وصول الرسائل بينهم [3] .

وفي هذا الصدد تجمع المصادر على استدعاء علي بن يوسف لابن العريف (ت530هـ/1136م) إلى مراكش[4] بتدبير من قاضي ألمرية ابن الأسود (ت536هـ/1142م)[5] الذي خوفه من حاله، فأرسل فأرسل مقيدا نحو العاصمة قبل أن تبرأ ساحته وهو في سبتة[6].

ولم تكتف السلطة الحاكمة بالتتبع والمراقبة، بل لجأت إلى منع بعض المتصوفة من التدريس تحسبا لأي ترويج لأفكارها ومثال ذلك المتصوف أبو الفضل بن النحوي (ت513هـ/1119م)[7] الذي منع من إلقاء " دروسه في أحد مساجد سجلماسة[8]".

ولم يقتصر اضطهاد السلطة للمتصوفة على هذا الحد، بل زج بهم في السجون، ونذكر من بينهم أبو الحسن علي بن حرزهم (ت559هـ/1164م)[9].

---

[1]- **أبو يعزى: يلنور بن عبد الله، قيل أنه من قوم**هزميرة إيروجان، وقيل من بني صبيع من هسكورة، وكان قطب عصره، وأعجوبة دهره، وكانت له كرامات. يراجع: ابن الزيات: المصدر السابق، ص 213-214.

[2]- بوتشيش القادري إبراهيم: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين**(المجتمع- الذهنيات- الأولياء)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1993م، ص 151.

[3]- بونابي الطاهر: المرجع السابق ص196.

[4]- **مُرَاكُشْ**: وهي أعظم مدينة في المغرب، أول من اختطها يوسف بن تاشفين من المسلمين المرابطين، واول من اتخذ بها البساتين هو عبد المؤمن بن علي على عصر الموحدين كان بها جملة قصور للامراء والقواد، وخدام الدولة، ازقتها واسعة، ومبانيها سامية وأسواقها مختلطة. **يراجع: الحموي(أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت626ه/1228م): معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، 1979م، ج5، ص94.

[5]- **الغساني**: محمد بن إبراهيم ، توفي في نكبته بمراكش. يراجع: ابن الزيات: المصدر السابق ص 119.

[6]- **سبتة**: مدينة على شاطئ البحر المتوسط، شمال المغرب الاقصى، عبارة عن شبه جزيرة في مضيق جبل طارق، تحيط بها الجبال من جهة الجنوب. يراجع: الحموي: المصدر السابق ، ج4، ص195.

[7]- **ابن النحوي**: يوسف بن محمد بن يوسف أصله من توزر، دخل سجلماسة، وكان من أهل العلم، والفضل، وعلى هدى السلف الصالح، وكان يدرس أصول الدين، وأصول الفقه. يراجع: ابن الزيات: المصدر السابق، ص96-98.

[8]- **سجلماسة**: مدينة قديمة في المغرب، عاصمة بلاد تافلالت سابقا، على حدود الصحراء، كانت محطة للنخاسة، ولتجارة الذهب والعاج، وزارها ابن بطوطة وقال انها اجمل البلدان. يراجع: ابن سعيد الغرناطي (علي بن موسى بن محمد ت685ه/1280م): **المغرب في حلى المغرب، وضع** حواشيه خليل منصور، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1997م، ج1، ص63.

[9]- **ابن حرزهم**: علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله، ولد بفاس ونشا بها، وكان من كبار الفقهاء، وكان زاهدا في الدنيا، سالكا سبيل اهل التصوف، ذاكرامات وفراسات. يراجع: ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن الحسين القسنطيني 810ه/1407م): **أنس الفقير وعز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه**، تحقيق: أبو سهل نجاح عوض صيام، دار المقطم، القاهرة، 2002م، ص46. يراجع: ابن الزيات: التشوف، المصدر السابق، ص 168-173 .

الذي تم إلقاء القبض عليه وسجنه بفاس[1] وقد وصل حد المواجهة إلى درجة اغتيال هؤلاء[2]، ولقد ولقد كان للفقهاء دور في تأليب السلطة عليهم، وتدبير أسباب اغتيالهم، ومثال على ذلك اغتيال ابن برجان(ت536هـ/1142م) بعد اعتقاله في مراكش نتيجة آرائه التصوفية، وقد أمر الأمير علي بن يوسف أن تلقى جثته على المزبلة، ومنع أن تقام عليه صلاة الجنازة[3].

كما عمدت السلطة إلى تفجير تيار الغزاليين[4] الذين اتخذوا موقفا عدائيا تجاه المتصوفة عن طريق طريق تشويه كتاب أبو حامد الغزالي(ت505هـ/1112م)[5] الإحياء[6] والإدعاء عليه بأنه يحتوي مسائل منافية للسنة، واستعانت في ذلك بالفقهاء الذين كانوا يعيزون لها بذلك، نتيجة اتخاذهم موقف عدائي اتجاههم وقد عملوا على مطاردة أنصاره من الصوفية لكونه يحمل خطابا نقديا للسياسة والاقتصاد وا تمع والجيش لدولتهم[7].

فقد ورد مثلا في "باب إدارات السلاطين وصلاتهم، وما يحل منها وما يحرم" أن الغزالي حرم تحريما مطلقا لخَرَاجْ المضروب على المسلمين، وكل المصادرات وأنواع الرشوة، وهو ما يتنافى أصلا مع سياسة

---

[1]- فاس: هي مدينة في بلاد المغرب و هي مدينتين بينهما نهر كبير ياتي من عيون تسمى عيون صنهاجة، المدينة الشمالية تسمى القرويين وتسمى الجنوبية الأندلس. يراجع: البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز ت487ه/1094م): المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م، ج2، ص94.

[2]- ابن الزيات: المصدر السابق ص98.

[3]- بوتشيش القادري: المغرب والأندلس، ص152.

[4]- تيار الغزاليين: هم الصوفية الذين تبنوا أفكار أبي حامد الغزالي (ت505هـ/1112م) القائمة على الالتزام بالقرآن والسنة والتركيز على تصفية النفس، وتجريدها من علا ئق ا بدن و اسطة أنو اع االهدات والرياضات، كالقيام والصيام والخلوةوالذكر، التي تقود القلب إلى كشق حجاب الحس وإدراك الحقائق الإلاهية، واكتساب العلوم الدينية، وقد ارتبط هذا الاتجاه بدخول كتاب إحياء علوم الدين لبلاد المغرب. يراجع: الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص116 .

[5]- الغزالي: هو محمد بن محمد بن أحمد الملقب بحجة الإسلام أعجوبة الزمان الشافعي،الطوسي، وكان يتميز بذكاء مفرط، وذكر أنه ولد سنة (450هـ/1058م) وقيل سنة (451هـ/1059م)، كان والده يشتغل بغزل الصوف ويبيعه بحانوته، ولقد كان متكلما، فقيها أصوليا، صوفيًا.يراجع: ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي ت1079ه/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت، دط، دت، ج4، ص11.

[6]- كتاب الإحياء: أهم مؤلف أثر في الحركة الصوفية ببلاد المغرب والأندلس، لصاحبه أبو حامد الغزالي، الذي كان له دور كبير في ميلاد التصوف ببلاد المغرب، فقد وجدت تعاليمه ونظرياته الصوفية التربة الخصبة للانتشار في المغرب والأندلس في تجربة سنية أشعرية، كان لها الأثر البالغ في احتضان بلاد المغرب للتصوف السني المعرفي، ويكمن تأثير الإحياء من خلال محاولته التوفيق بين علمي الشريعة والحقيقة أو علمي الظاهر والباطن، ومن ثمة محاولة إضفاء المشروعية على التصوف علما وسلوكا واعتباره الطريق الموصل إلى الحقيقة والسعادة، وقد دخل هذا الكتاب لبلاد المغرب من خلال بعض المغاربة الذين قصدوا المشرق، والتقوا بأبي حامد الغزالي أو تعرفوا على كتبه. يراجع: المعموري الطاهر: الغزالي وعلماء المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص89.

[7]- بوتشيش القادري: المغرب والأندلس، ص153.

المرابطين القائمة خلال القرن السادس الهجري على غنائم المعارك، والضرائب الشرعية، وغير الشرعية، كالجزية والخراج لذا اعتبر أموال السلاطين حراما لأن مصادرها غير شرعية[1].

وبين أيضا أن السلاطين يمنحون الأعطيات والجوائز والإدارات إلا للذين يؤيدوم سياسيا حسب قوله:" فاما الان فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم والتكثر بهم، والاستعانة بهم على اغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواضبة على الدعاء والثناء والتزكية، والإطراء في حضورهم ومغيبهم[2].

وهذا ما ظهر جليا عند المرابطين الذين أغدقوا الأموال على الفقهاء وخصّوهم بالامتيازات فكثرت لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم[3].

كما شرّع الغزالي قتل الكفار المحاربين واسترقاقهم، وهو ما يتنافى من السياسة المرابطية القائمة على الاستجاشة بالنصارى، وتسخيرهم ضد المسلمين[4].

وخلاصة القول أو سوء العلاقات بين المتصوفة والسلطة المرابطية، تحكمت فيها إلى حد بعيد الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية المتدهورة، فما كان للصوفية أن ينتقدوا السلطة، لو لا تفاقم الأوضاع، وفي المقابل أصبح المرابطون يتوجسون الخطر من الصوفية، خاصة بعد معايشتهم عن قرب ثورة المريدين[5]

بقيادة بن قسي(ت546ه/1151م)[6] والتي اندلعت في(539ه/1145م)لم تَزُلْ آثارها إلا في العهد الموحدي بعد القضاء عليها[7].

---

[1]- الغزالي (أبو حامد محمد بن الطوسي ت505ه/1112م): **إحياء علوم الدين**، دار الجيل، بيروت، دط، 1992م، ج2، ص220.

[2]- نفسه، ص220.

[3]- ابن سعيد الغرناطي: المصدر السابق، ج1، ص150.

[4]- القبلي محمد: « **رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط – الخطاطة العامة وأرضية الاختلاف–** » ، ضمن أعمال الندوات" أبي حامد الغزالي"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988م، ص158.

[5]- **ثورة المريدين**: هم أتباع شيوخ الجماعات الصوفية، ومصدر حركتهم ألمرية، وقائد هذه الحركة ابن قسي، وقد جسدت هذه الثورة الموقف المتطرف الذي لا يعتمد على الكرامة أو الرمز لتبليغ خطابه، بقدر اعتمادها على أسلوب الثورة والعنف وقد قامت أواخر العصر المرابطي، ناهيك عما يكتنفها من غموض واختلاف الآراء حول اندلاعها. يراجع: ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت 658ه/1260م): **الحلة السيراء**، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، ج2، ص204.

[6]- ابن قسي: أحمد بن الحسين يكنى أبو القاسم، أول الثائرين عند اختلال دولة الملثمين، وهو رومي الأصل، من بادية شلب، نشأ مشتغلا بالأعمال المخزنية، ثم تزهد وباع ما له وتصدق بثمنه وساح في البلاد، ثم أدعى الهداية تمويها للعامة وتسمى بالإمام، وبدأ يحرض على الفتنة ويدعو إلى الثورة. يراجع: ابن الآبار: المصدر نفسه، ص197.

[7]- نفسه، ص204.

أما عن العلاقة بين الصوفية والسلطة في العصر الموحدي، فهي لم تخلو من أشكال المعارضة والمواجهة من قبل الصوفية، والقمع والمعاقبة من قبل السلطة، والحقيقة أنه - خلافا لما يعتقد – وقعت لحظات الصدام بين الطرفين مع بداية تأسيس الدولة، فالتميمي يورد لنا تلك الملاحقات التي طالت بعض المتصوفة: وقت دخول مدينة فاس ووقت محاصرة مكناسة وفتح تاودة، والتي يستشف من خلالها أن الملاحقة كانت شديدة، بحيث لم تحترم فيها حتى حرمة المساجد[1].

والواقع أن السلطة الموحدية وخاصة بعد قيام الدولة ظلت تخاف من كل ما من شأنه أن يوحي بشهرة الصوفي وكثرة أتباعها والدعاية لخوارقهم، حيث كان عبد المؤمن بن علي، وأبناؤه ينقبون عن اصحاب الحال، ويكشفون عن بواطنهم مخافة تورتهم وخروجهم عليهم[2].

فلما أحسوا بخطر هذه الشعبية عملوا على تضييق الخناق على رموز الصوفية حيث تعرض رمز الصوفية أبي يعزى(ت572هـ/1177م) للسجن والتنكيل به، ثم أخلي سبيله، وهي رسالة موجهة إلى عموم المتصوفة من طرف الدولة، في بداية تاسيسها، فهي تهدف إلى إرساء دعائمها بقوة[3] خاصة بعد التحديات التي واجهتها حال قيامها، ومن هذه التحديات، ثورة ابن هود الماسي (ت542هـ/1148م) بحيث كانت قوية وعنيفة كادت تعصف بجهود الموحدين في تثبيت دعائم حكمهم إذ اضطر عبد المؤمن أن يبعث لإخمادها بحملات كثيرة فشلت كلها، ولم يتمكن من سحقها إلا في نهاية المطاف بعد قتل ابن هود، وتشتيت أصحابه سنة (542هـ/1148م) [4].

وفي هذا السياق نسجل تلك السياسة التي نهجتها السلطة اتجاه بعض المتصوفة الذين يبدوا أنهم لم يسايروا السياسة الموحدية، فنجد منهم من تم سجنه[5] ومثال ذلك المتصوف أبي إبراهيم بن وجماتن الرجراجي(ت595هـ/1199م)[6] الذي تعرض للسجن نتيجة تكلمه في الجامع أمام مرأى الناس في حق

---

[1]- التميمي (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم): **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من بلاد**، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 2002م، ص129. يراجع: الشريف محمد: « **المستفاد أو إستقطاب التيار الصوفي في المغرب على عهد الموحدين** »، ضمن دراسات عربية، العدد 1-2 (نوفمبر/ديسمبر1995م)، ص68.

[2]- البختي جمال علال: **الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري**، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، دط، 2003م، ص64.

[3]- محمد الشريف: « المستفاد أو إستقطاب التيار الصوفي ... » ، ص68.

[4]-ترجع أسباب ثورة إبن هود إلى البعد الإديولوجي الصوفيالذي كان واضحا في شخصية إبن هودو لأن أهل رباط جلول كانوا يؤمنون بقرب ظهور المهدي بمنطقتهم، وقد تزعم هذه الثورة أحمد بن عبد الله بن هود الثائر الملقب بالمهدي، وقد انظم إلى هذا الحلف الماسي قبائل برغواطة ودكالة. يراجع: البختي: الحضور الصوفي، ص54،53.

[5]- الغبريني: المصدر السابق، ص78،77.

[6]- الرجراجي: إسماعيل ابن وجماتن، من أهل آذار من بلد رجراجة، كانت عليه أحوال المشاهدة، فلم يتفرغ لأخذ العلم عنهم. يراجع: ابن الزيات: المصدر السابق، ص350.

حق العامل بكلام خاف منه الناس على أنفسهم من رد السلطة، ومن الذين أيضا رفضوا التقرب من السلطة الموحدية وناصبوها العداء والنقد والمعارض السلمية، أبو مدين شعيب (ت594هـ/1197م)[1] بسبب الجور السياسي الذي مارسه ولاة الموحدين خلال عهد الخليفة يعقوب المنصور(ت595هـ/1199م)، حيث تحدثت العديد من المصادر والمراجع عن تخوف الخليفة يعقوب المنصور من نفوذه، حيث شبه أتباعه بأتباع المهدي بن تومرت وبعد وشاية من بعض فقهاء الظاهر، استدعاه إلى عاصمته مراكش[2].

ولقد ظل فقهاء الظاهر ينبهون الخلفاء الموحدين وأمراءهم إلى خطورة ما يطرحه الصوفي، ومن تنامي شعبيتهم، فاتجه الموحدون إلى الضغط عليهم، حيث قام والي بجاية بتحذير الصوفي أبو علي الحسن المسيلي(ت580هـ/1184م) من الخوض في المسائل السياسية، وطالب منه أن يشتغل بأموره الخاصة وأن لا يتدخل في شؤون الناس، والواقع أن الموحدين تعسفوا إزاء بعض الصوفية عندما تعلق الأمر بأمن الدولة واستقرارها السياسي، فقد تعرض الصوفية الذين بايعوا علي بن محمد بن غانية الميورقي المرابطي عند دخوله بجاية سنة (581هـ/1185م) عن طواعية أو إكراه إلى التنكيل والمحاصرة والإقصاء، حيث تم إقصاء أبو علي الحسن المسيلي من منصب القضاء الذي كان يشغله، قبل دخول الميورقيين[3].

كما يشير ابن الزيات إلى ثورة "عِتاب" الذي ا م بطلب الملك فقوبلت أطماعه بالقمع، والمطاردة الشديدة لشيوخ التصوف في مناطق واسعة، فكان يتم اضطهاد أي شخص صوفي يتهم بالثورة على السلطان[4].

وذا نرى أن الموحدين أدركوا منذ البداية قوة الصوفية ومدى تاتيرهم في المجتمع، فتوخوا الحذر في التعامل معهم بعد تأسيس الدولة، ونظروا بعين الخطر لتنامي شعبيتهم، فحاولوا محاصرة مدهم والتضييق عليهم، خاصة عندما تعلق الأمر بأمن واستمرار الدولة، لكن دون أن يصل الأمر إلى قتلهم والتنكيل م، فالدولة الموحدية وبالرغم من وجود المعارضة المذهبية ضدها من قبل الصوفية المالكية، فإنها لم ترق إلى مستوى المواجه الصريحة أو المعارضة المسلحة، لذا انعدمت النصوص التي تبث تحدي

---

[1]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص319-326.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص77،78.

[3]- نفسه، ص77،78.

[4]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص394-402.

الأولياء والمتصوفة للخلفاء الموحدين بشكل مباشر فقد استطاعت الدولة الموحدية احتواء المعارضة وكبح جماحها[1].

إن عدم قدرة السلطة المرابطية على الاستمرار في أسلوب المواجهة مع المتصوفة، كان نتيجة فشلهم في هزيمة النفوذ الروحي للمتصوفة، في الوقت الذي بدأت موارد المال تشح، ودخولهم في مرحلة الضعف والانحطاط مما جعلها تسارع مُكرهة نحو مهادنتهم، والتقرب إلى بعض شيوخهم[2].

فالمرابطون لم يكونوا معارضين على طول الخط للتصوف المغربي، بل الثابت أن بعض رجالهم كانوا على طريقة من الزهد والتقشف حتى أن يوسف بن تاشفين نفسه من المعروفين بالخوف الشديد من الله، كتوما لسره، كثير الدعاء والاستخارة، مقبلا على الصلاة، صادقا في استغفاره[3] كما كان الخليفة علي بن يوسف بن تاشفين حسب قول المراكشي" يعد من الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد من الملوك والمتغلبين"[4].

ومصادر أخرى تنسب بعض الأمراء صراحة إلى تيار التصوف كابن عذارى الذي يقول عن الأمير تاشفين بن علي" وكان يسلك طريق ناموس الشريعة ويميل إلى طريقة المستقيمين وقراءة كتب المريدين"[5] وكان يهتم بزيارة بعض المتصوفة ويتبرك بهم[6].

كما نلمس أيضا تقرب بعض الأمراء من المتصوفة، كمزدلي بن تلكان أمير تلمسان الذي ذهب إلى المتصوف أبي محمد عبد السلام التونسي[7]، وهو يعمل بأرضه" فقال له عبد السلام ما تطلب عندي عندي وأنا فقير وأنت أمير؟ فقال: جئت لأتبرك بك وآكل من طعامك"[8].

كما أن المتصوفة عملوا على استقطاب أمراء مرابطين إلى تيار التصوف، كما حدث مع أبي إسحاق باران المسوفي(ت في حدود 570هـ/1175م)[9] الذي قال لبعض مشايخ الصوفية كيف ألحق بأهل الطريق؟ فدلوه على الطريق "فكان من الزعماء"[10].

---

[1]- محمد الشريف: «المستفاد....» ، ص70.

[2]- بوتشيش القادري: المغرب والأندلس، ص154.

[3]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173.

[4]- ابن سعيد: المصدر السابق، ص149،150.

[5]-ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص79.

[6]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص138.

[7]- التونسي عبد السلام: أصله من تونس، نزل تلمسان، وبها توفي، كان عارفا بالمسائل الفقهية، زاهد في الدنيا، متقشفا، صليبا في الحق، مغلظا على الأمراء. يراجع: ابن الزيات: المصدر نفسه، ص110.

[8]- نفسه، ص110.

[9]- المسوفي: أبو إسحاق باران ابن يحي، كان من الأمراء المرابطين ثم أصبح صوفي من الزعماء. يراجع: ابن الزيات: المصدر نفسه، ص254 .

[10]- نفسه، ص254.

ثم إن بعض المتصوفة تعامل مع المرابطين، وحاول أن يأخذهم بسلوك مبادئ الصوفية كأبي الحسن علي بن حرزهم (ت559هـ/1164م) الذي" استدعاه بعض أمراء صنهاجة للقراءة عليه، والأخذ عنه فلازمه، وأخذه بسلوك طريق الآخرة، وأمره بالورع وضيق عليه في المكسب"[1].

ولعل أهم نموذج لإستراتيجية الاحتواء التي تبنتها السلطة المرابطية تجاه المتصوفة فتكمن في تلك التجربة التي نجحت مع أسرة آل أمغار الصوفية بعين تيط بأزمور[2] فقد منح المرابطون شيوخ هذه الأسرة ظهائر التقدير والاحترام، حيث بعث الأمير علي بن يوسف إلى عبد الله بن الشيخ سنة (527هـ/1133م) بظهير يلتمس فيه دعاء الشيخ ويتوق للحصول على بركته ورضاه[3].

والواقع أن سنة (527هـ/1133م) مليئة بالدلالات، إذ أنا شكلت بداية دخول الدولة المرابطية مرحلة الايار، والتي بدأت خزائنها تفرغ، وخلالها حصدت الدولة أيضا أول هزيمة ضد الموحدين، لذلك حاول المذكور، استقطاب بعض المتصوفة، وضمنهم آل أمغار لكسب ودهم[4].

لم يكن من قبيل الصدفة أن يتحول علي بن يوسف من سياسة التباعد مع آل أمغار - بسبب موقفهم من كتاب الأحياء وما تعرض له من حرق- إلى سياسة التقارب معهم، فقد أصبح الأمير المرابطي، يستشير شيخهم عبد الله أمغار في أمور الدولة، و من أمثال ذلك بناء صور مراكش، بل أن هذا الأخير منحه قدرا من ماله لجعله في صندوق إنفاق البنيان، وهو موقف يعكس مساندة واضحة لدولة المرابطين، ويظهر ذلك أيضا من خلال الموقف الذي وقفه آل أمغار من الملثمين ضد أعدائهم الموحدين، إذ كانوا مع المجموعات الصنهاجية التي وقفت معهم في خندق واحد، لذلك حظي عبد الله بن أمغار بوزن كبير لدى المرابطين[5].

ومن مظاهر سياسة الاحتواء أيضا وكأهم محطة من محطات التصالح والتقارب بين السلطة والمتصوفة، أن الأمير علي بن يوسف دعا كافة صلحاء المغرب والأندلس" فاجتمع عنده في الوقت كل من اشتهر فضله وصلاحه في ذلك العصر"[6].

---

[1]- بن سباع مصطفى: **السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين**، تقديم محمد بنعبود، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، دط، 1999م، ص108،109.

[2]- **أزمور**: مدينة صغيرة من مدن المملكة المغربية، تطل على المحيط الأطلنطي. **يراجع: ابن قنفذ: المصدر السابق، ص130.**

[3]- مما جاء في هذا الظهير:" من حضرة مراكش حرسها الله عقب ربع سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وقد علم ما أتت عليه من الخير والجري في أهوائك، وما لجأ الصالحين، فاعتقدناك في الأولياء، ورتبناك في أهل الذكاء وخطبناك نادبين لك إلى اختصاصنا بخالص الدعاء". **يراجع : القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص154.**

[4]- القبلي محمد: **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، ص43.**

[5]- **القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص155.**

[6]- **نفسه، ص156.**

أما عن طبيعة هذا التقارب في **العصر الموحدي، فقد وصف المؤرخون مرحلة حكمهم للمغرب الإسلامي بعصر** الاعتراف الرسمي بالصوفية، حيث تذهب الكثير من المصادر والروايات المنقبية إلى القول بسير خلفاء السلطة الموحدية في كنف التصوف، فتصفهم بطابع الزهد، بل **بسلوك طريق التصوف وأخذ تعاليمه**[1]**، فتقول عن الخليفة عبد المؤمن بن علي(ت558هـ/1162م) أنه كان طالب تلقى** تعاليم التصوف الأول عن الصوفي أبي محمد عبد السلام التونسي[2] **قبل لقائه بالمهدي بن تومرت (ت524هـ/1130م)**[3]

في رباط ملالة سنة (512هـ/1118م)[4] **أما الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(ت580هـ/1184م) فتصفه المصادر بأنه كان زاهد، متقشفا، سالكا لطرق التصوف، يلبس** الثياب الخشن، ويقتصر على القليل من الطعام ولفرط إعجابه بالصوفية كان يكاتبهم، ويسألهم الدعاء، ويحسن إليهم حتى وصف عهده عبد الواحد المراكشي بأنه كثر فيه **"المتبتلون والصلحاء** وانشروا في كافة أنحاء المغرب"[5].

وعلى نهج سار الخلفاء يعقوب المنصور(ت595هـ/1198م) والناصر(ت609هـ/1213م) وخليفته المستنصر (ت620هـ/1222م) الذين كانوا يكاتبون صوفية المغرب والأندلس، ويستدعونهم إلى عاصمة دولتهم مراكش، ويصف يحي ابن خلدون سياسة الخلفاء الموحدين **أنها كانت مفعمة بالود**

---

[1]- بونابي الطاهر: المرجع السابق، ص198.

[2]- **ابن خلدون** (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي ت808ه/1407م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب** اللبناني، بيروت، دط، 1983م، ج6، ص258،259. يراجع: ابن الزيات: المصدر السابق، ص110-112.

[3]- **ابن تومرت**: محمد بن عبد الله، لقبوه بالمهدي لأنه ادعى المهدية، اختلف في نسبه بين أن يكون بربري، أو منتهي الأصل إلى النبي **صلى الله عليه وسلم، لكن هناك اتفاق أنه من قبيلة هرغة إحدى بطون قبيلة مصمودة** البربرية، أما تاريخ مولده فمتعدد منهم من يذكر ولادته سنة (473هـ/1079م) أو (469هـ/1066م) **وكانت وفاته سنة** (524هـ/1130م) ، نشأ في أسرة لها مكانة **دينية ببلاد السوس جنوب مراكش، رحل** إلى المشرق، ودرس على يد اكابر علمائها وتاثر بهم، ثم عاد إلى المغرب واستقر في العديد من مدنها، قبل ان يلتقي بامير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين وعمل على نشر فكره، ومذهبه، ومحاربة المرابطين قبل أن يتوفى، ويترك الأمر لعبد المؤمن إبن علي الكومي أو **خلفاء الدولة الموحدية. يراجع: ابن خلكان** (أبو العباس احمد بن محمد بن أبي بكر ت681ه): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، **دط**، 1968م، ج5، ص45.

[4]- البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي): **أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق: **عبد الحميد حاجيات، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2**، 1975م، ص39.

[5]- **ابن خلدون** (أبو زكريا يحي بن محمد الحضرمي ت780ه): **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر**، 1980م، ج1، ص102 .

والاحترام والتبجيل للصوفية، فيبدوا ظاهرا أن الخلفاء الموحدين تقربوا من الصوفية، اعتقدوا فيهم وأحسنوا إليهم[1].

والحقيقة أن الدولة الموحدية عملت على استثمار الاتجاه الصوفي لصالحها خاصة فكر التيار السني بأن ربطت حركتها السياسية بأبي حامد الغزالي والإدعاء أن ابن تومرت قد تتلمذ على يديه[2] فنجحت في الاستفادة من شعبية أقطاب التصوف منهم والإحسان إليهم، هذا التعامل الذي لا يبدوا أنه يخلو من تحقيق أغراض مذهبية ومصالح سياسية[3].

لقد عمدت الدول الموحدية إلى تخصيص رواتب للصوفية ضمن الفئات الاجتماعية التي لا تتولى أي حرفة أو خطط إدارية[4] كما اقتطعت لهم الأراضي ليرتزقوا منها، ومثال على ذلك أن عبد المؤمن بن علي حرر ظهيرا يمنح بموجبه أرضا زراعية للصوفي أبي النجم هلال بن يونس الغبريني[5].

كما حظي أبو عبد الله ابن الحجام التلمساني (ت614هـ/1217م) لإحسان الخلفاء المنصور، والناصر، والمستنصر، الذين كانوا يجزلون له العطاء[6] وكان سكناه مراكش، باستدعاء المنصور له في البداية وكانت ألطافه عليه وعندما توفي المنصور حظي كذلك عند ابنه الناصر فبالغ في الإحسان إليه وبوفاة الناصر جرى ابنه المستنصر في الاحتفاء به والاحتفال في صِلاته مجرى أبيه وجده [7].

---

[1]- يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص102.

[2]- عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق، بيروت، دط، 1983م، ص349، لقد أثارت قضية اجتماع الغزالي بالمهدي بن تومرت اعتراضات المؤرخين مثل ابن الأثير الذي يروي قصة اللقاء عن بعض مؤرخي المغرب ثم ينفيه، وابن خلدون الذي يعبر عن هذا اللقاء بما يفيد الشك بقوله:" لقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي وفاوضه بذات صدره " أما بقية المؤرخين المغاربة فيؤكدون هذا اللقاء مثل ابن القطان، الذي نقل قضية اللقاء، والذي نقله ابن عذارى، وأكده الزركشي. يراجع: ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي الكتامي ت650ه/1252م): **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، 1990م، ص72،73.

[3]- مُراد هذه السياسة كسب العامة، لأن الصوفية في منظور الموحدين هو إرضاء لشعور العامة وضمان لولائها، وكأن الموحدون يعملون على تلاقي تحذير شيخ الصوفية أبي مدين شعيب الذي لخص أبعاد هذه السياسة في قوله: "من حرم احترام الأولياء، ابتلاه الله بالمقت من خلقه". يراجع: بونابي الطاهر: المرجع السابق، ص200.

[4]- عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص349.

[5]- **الغبريني: هلال بن يونس بن علي**، وهو شيخ فقيه، جليل، عابد، متقي، ولي مبارك، كان من أهل الجد والاجتهاد، كاتب ذا منصب رفيع. يراجع: الغبريني: المصدر السابق، ص 169 .

[6]- يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص102.

[7]- ابن عبد الملك: السفر الثامن، ص266.

كما نلمس أن بعض الحُكام يُبالغ في الإعلاء من شانهم بإشراكهم في تدبير شؤون البلاد، كما كانوا يتبركون بهم، حيث ان الخليفة الموحدي الناصر عندما عزم على السفر إلى الاندلس قصد الجهاد، التمس من الشيخ أبي عبد الخالق الدعاء ليعينه على قمع أعدائه[1].

كما نلمس أيضا ظاهرة تعامل بعض المتصوفة مع بلاط الحكم ومثال ذلك تعيين الخليفة المأمون (ت630هـ/1232م) للشاعر المتصوف أبي عمر ميمون بن علي الصنهاجي الخطابي المشهور بابن خبازة(ت637هـ/1239م) على حساب السوق[2]، وكان ابن خبازة يمدح الخليفة المأمون في أشعاره، ولم يكتف بذلك وإنما عندما قرر الخليفة المأمون نبذ العقيدة التومرتية[3] نظم قصيدة بين فيها تأييده لقرار الخليفة، وذم فيها عقيدة المهدي[4].

وقد كانت السلطة الموحدي تحرص على حضور جنائز الصوفية، وتكلف العمال بتجهيز مراسيم الدفن، إرضاء لشعور أتباعهم، كما فعلوا من الصوفي أبي زكريا يحي الزواوي(ت611هـ/1214م)، إذ لما توفي أرسل والي بجاية نقيبا وكلفه بالمحافظة على جثته وكلف أُمَنَاءَ بتجهيز الجنازة والصلاة عليه[5].

ومن خلال هذا كله يتضح أن السلطة الموحدية قد أدركت جيدا أهمية الصوفية كقوة فاعلة ومكانتهم لدى العامة، فعملوا على استثمارهم لخدمة مصالح دولتهم كما لم يخلو اهتمامهم بهم من أغراض مذهبية وأهداف سياسية، عكس سياسة لدولة المرابطية والتي تميزت بالشدة والغلظة والاضطهاد أكثر من الاحتواء فلا شك أن ظاهرة الصوفية والأولياء[6] التي برزت في المغرب الإسلامي، جاءت إفرازا لتجليات الازمة التي طالت المجتمع في جميع المجالات، لذلك كان من البديهي ان يقوم هؤلاء الاولياء المتصوفة بمحاولة لإعادة التوازن الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ومن ثم لعبوا أدوارا متنوعة على

---

[1]- الحمودي أحمد: **عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، دط، 2001م،ص136.

[2]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص168.

[3]- لقد قام الخليفة المأمون في (626هـ/1229م) بإعلان نبذه للعقيدة التومرتية وأزال اسم المهدي من السكة، ومن خطبة الجمعة، ومن المراسلات الرسمية، واعتبر الابقاء على تلك ليس ضروريا للحفاظ على الشرعية السياسية الدينية للموحدين. يراجع:ابن عذارى: البيان المغرب (قسم الموحدين)، المصدر السابق، ص286. مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد، الدار البيضاء، دط، 1979م، ص165،164 .

[4]- محمد الشريف: «**ما قبل هيكلة الزوايا بالمغرب – الطوائف الصوفية خلال الانحلال الموحدي–**»، مجلة المناهل (الرباط)، عدد 80-81 (فيفري 2007)، ص 26.

[5]- الغبريني: المصدر السابق، ص137.

[6]- **الأولياء: على حد قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿إذا رؤو ذكر الله﴾** أخرجه أحمد في المسند، بمعنى إن رآهم المؤمن عظم ربه وذكر ذنبه، ويجب ان تلتمس بركاتهم، **بتغتنم دعواتهم**، فقد منحهم الله علوم إلهامه، يكشف بها عما في القلوب حتى تكون حواسهم من سمع، وبصر، وشم، مخالفة لحواس غيرهم، ولذلك منهم من يرى الملائكة، ومنهم من يرى الجن، ومنهم من يرى النائبة، ومنهم من يرى ما في السموات، **ومنهم من يرى** اللوح المحفوظ، ومنهم من يقرأ ما فيه.يراجع: ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 33،32.

كل المستويات معتمدين في كثير من الأحيان على خطاب غير مباشر يستند على توظيف الكرامة الصوفية[1] كأداة للنقد والتعبير عن موقفهم ورؤيتهم لإصلاح المجتمع، وإعادة بنائه، ومساعدته وفق معايير مثالية في الغالب وفي أحيان أخرى يعتمدون على قوام الشخصية وقناعتهم الدينية.

[1]- الكرامة الصوفية: يعرفها ابن مريم أنها "كل فعل خارق للعادة ظهر على يدي عبد ظاهر الصلاح في دينه، متمسك بطاعة الله في أحواله "، ويشترط ابن مريم صحة الولاية كشرط لصحة الكرامة وإلا فهي من الشيطان، أما أبو مدين فيعتبرها مكملة لمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم. يراجع: ابن مريم: المصدر السابق، ص110.

ثانيا:

التفاعل الاجتماعي.

إن نصوص الفترة المرابطية والموحدية تكشف أن الأولياء والمتصوفة، قاموا بدور اجتماعي لا يمكن إنكاره، فقد كان العوام يلجئون إليهم كلما لحق بهم مكروه، او كارثة طبيعية كالقحط والمجاعات، وقد تمثل دور المتصوفة في استنادهم بدرجة كبيرة على الكرامة الصوفية، وتوظيفها لتجاوز هذه الأزمات، فإن الكرامة تغلف هذا الدور بما تحمله من إمكانية التجاوز اللاطبيعي الذي لا يخضع للحواجز الدنيوية، وبما تمتلكه من تعلق نفسي وذهني من قبل المجتمع بها[1].

وفي هذا السياق ورد في ترجمة يعلى أبو جبل(ت503هـ/1110م)[2] من أهل فاس، أن قحطا ضرب المدينة في أحد الأعوام، فبعث أهاليها رجل له، عساه أن يدعو لهم بنزول المطر «فما رجع الرجل حتى غيمت السماء وغيث الناس»[3]؛ فما نزل المطر بدعوة من الولي إلا إشارة لواقع يشكوا من غياب الماء والمطر وحاجة الناس إليه، وما ظهور الكرامة إلا مظهرا يحقق معالجة هذه الوضعية ويحاول تجاوزها ومن ثم يرتسم بعد الكرامة ويتحدد دور الولي في مواجهة الجفاف وما يترتب عليه من أشكال المعاناة.

وهناك نصوص من الفترة الموحدية ظاهرة حول إنزال المطر، ودور الأولياء والمتصوفة لتخفيف المعاناة والجفاف وغيرها، حيث عندما وقع الجفاف ببجاية، ارتفع رزق الماء إلى أربعة دنانير، فكلف الصوفي أبو الحسن علي الحرالي التجيبي (ت638هـ/1241م) أو(ت637هـ/1242م) تلامذته بتوفير إحتياجات الفقراء من الماء، وحين عجزوا توجه إلى الله بالصلاة والدعاء، فنزل المطر وسقى الناس [4].

إلى جانب ذلك لعبوا دورا هاما إبان المجاعات، فلما اتت على الناس مجاعة عام (535هـ/1141م) قام الصوفي أبو حفص بن معاذ الصنهاجي(ت561هـ/1166م)[5] "بجمع خلق كثير من المساكين، فكان يقوم بمؤنهم، وينفق عليهم مما يصطاده من الحوت وغيره إلى ان اخصب الناس"[6].

كما كانت كرامات الأولياء الخاصة لعلاج الأمراض المستعصية، والأمراض التي كان يعجز عن مداواتها الأطباء والحكماء، ولا تجد سبيلا للشفاء إلا بلمسة الولي أو مسحة من ريقه، تصور عجز

---

[1]- بوتشيش القادري: المغرب والأندلس، ص155،156.

[2]- يعلي أبو الجبل من أهل فاس، كان جزارا، وكان صالحا، فاضلا. يراجع: ابن الزيات: المصدر السابق، ص 101،102.

[3]- نفسه، ص104.

[4]- الغبريني: المصدر السابق، ص151.

[5]- الصنهاجي: عمر ابن معاذ من أهل إيفغل من بلد أزمور، من أهل العلم والعمل وكان مؤثرا للعزلة، وكان بالبرية يشتغل صياد. يراجع : ابن الزيات: المصدر السابق، ص183.

[6]- نفسه، ص183.

الطب الدنيوي وتُبين قدرة الولي عن شفاء المرضى، وتسعى لتوفير تكاليف الطبيب والدواء، حيث كان الناس يلجئون إلى الصوفي، وهم واثقون ومؤمنون بقدرة كرامته، ومن أمثلة ذلك تمكن الولي أبو يعزى يلنور (ت572هـ/1177م) من إبراء جارية من مرض العمى عن طريق مسح عينيها بيده[1]، كما اعتاد على كل من يقصده بالتفل على موضع الألم[2] أو بواسطة مضغ الدفلة وإعطائها للمريض[3].

ولا تعوزنا الأدلة حول المحاولات التي قام بها المتصوفة للتخفيف من الضرائب التي أثقلت كاهل العوام، فقد بلغ إلى علم الصوفي تنفيت اليرصجي(ت قبل540هـ/1146م)[4] أن عاملا من عمال علي علي بن يوسف بن تاشفين طالب الناس بمغارم غير شرعية فدعى عليه، ولم تمضي إلا أيام يسيرة، حتى جاء كتاب الأمير بعزله "فلم يؤدو في ذلك العام شيئا"[5].

كما برز الدور الإجتماعي للمتصوفة كذلك في الإهتمام بالأيتام وإعانتهم فأبو إبراهيم بن محمد الهزرجي(ت581هـ/1185م)[6]"كان يتفقد الصبيان في مكاتبهم، ويسأل عن الأيتام وأولاد الفقراء فيكسوهم ويشتري الطرف في أول إبانا فيفرقها عليهم"[7]، بينما كان أبو العباس السبتي (ت601هـ/1205م) رمزا للبر والإحسان وكان يفرق الفتوح ومدخوله على الفقراء والمساكين، ويحث الناس على القيام بذلك[8].

وتدخلوا أيضا لإصلاح ذات البين بين الزوجين والحيلولة دون حدوث الطلاق وتشتت الأسرة، وكف أذى اللصوص، وأهل الدعارة بين الناس حيث في ترجمة لأبو محمد عبد السلام التونسي يذكر أنه" كان بتلمسان رجل من أهل الدعارة فشكاه الناس كثيرا فلقيه فأخذ بأثوابه، وضرب الحائط وقال له: يا هذا آذيت المسلمين حتى أكثروا بك الشكوى! فانكب الرجل على رجليه يقبلهما وهو يقول: أتوب إلى الله عز وجل"[9].

---

[1]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص217.

[2]- نفسه، ص232.

[3]- الغزي (أبو العباس ت 633ه/1235م): **دعامة اليقين في زعامة المتقين مناقب الشيخ أبي يعزى**، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، المغرب، دط، د ت، ص40.

[4]- اليرصجي: من أهل دكالة من الأفراد المستجابة دعوم. يراجع: ابن الزيات: المصدر السابق ، ص150.

[5]- نفسه، ص151.

[6]- الهزرجي: أبو إبراهيم إسحاق بن محمد، من أهل الجانب الشرقي من مراكش، كان رجلا صالحا، ورعا، وليا. يراجع: ابن الزيات: المصدر نفسه، ص241،242.

[7]- نفسه، ص241.

[8]- نفسه، ص252.

[9]- نفسه ، ص 111،112.

أما فيما يخص دورهم في التعليم والقضايا الدينية، فهذا لا يحتاج إلى دليل، حيث أن أغلبية المتصوفة نهلوا من مختلف العلوم، ووصلوا إلى مكانة علمية مرموقة، و هذا المتصوف أبا محمد بن عبد الجليل بن ويحلان(ت541هـ/1147م)[1] درّس الناس الفقه بأغمات[2] وريكة[3] ثلاثين سنة محتسبا محتسبا لله، لا يأخذ على ذلك شيئا ولا يسأل أحد، مع شدة فقره[4]، كما كان أبو إسحاق إبراهيم بن يسول الإشبيلي[5] : "يقرأ القرآن بتلمسان محتسبا دون أجرة"[6].

وقد تجلى دورهم الديني في توعية العامة بأمور دينها في المساجد، والربط والزوايا، فضلا عن كونهم يعملون على تعريف الدين الإسلامي في البوادي والأرياف، وحتى بين المسيحيين، حيث يذكر أن رهبانا إيطاليين، قدموا إلى بجاية لرؤية أبي مدين شعيب، والإطلاع على المكان العلمي التي تبوأها ودرجة تدينه، فلما حضروا مجلسه ورأوا كراماته دخلوا في الإسلام[7].

أما دورهم الأخلاقي فعبرت عنه الكرامة بواسطة رموزها عن عدم رضى الأولياء الصوفية عما يسود المجتمع من إنحطاط في مستوى الاخلاق، وشيوع المنكرات والمحرمات والفساد، وتطلعت إلى مجتمع خال من الرذائل والمنكرات فاستعملت عنصر المكاشفة[8] أو الرؤية بالقلب، فالولي له من القدرة ما يجعله قادرا على إستكشاف اسرار الناس ومعرفة خباياها، وفضح منكراتها الاخلاقية التي يحاول على إخفائها وكتمانها، فهذا أبو مدين شعيب(ت595ه/1199م) يكشف لأحد مريديه، عن المكاشفات التي تدعوا للسمو الأخلاقي والعفة[9].

---

[1]- **عبد الجليل بن ويحلان**، يكنى أبا محمد، أصله من دكالة ونزل بأغمات، كبير الشأن من أهل العلم والعمل، فقيه، **متصوف. يراجع: ابن الزيات**: المصدر السابق، ص146،147.

[2]- **أغمات**: ناحية من بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش، وليس في بلاد المغرب أجمع لصفات الخيرات منها، تداولتها دولة **المرابطين والموحدين. يراجع: الحموي**: المصدر السابق، ج1، ص225 .

[3]- **ريكة**: تقع على بعد حوالي ثلاثين ميلا شرقي مدينة مراكش. **يراجع: ابن الزيات**: المصدر السابق، ص84.

[4]- نفسه، ص147.

[5]- **إبراهيم ابن يسول**: ويكنى ابو إسحاق، من اهل إشبيلية، ونزل بتلمسان وبهامات، مقرئ قران، عبدا **صالحا. يراجع، ابن الزيات**: المصدر نفسه، ص294.

[6]- نفسه، ص294.

[7]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص191،192.

[8]- **المكاشفة: يُعَرِّفها** الغزالي بانها علم الباطن فهي "عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره، وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسمائها، فيتوهم لها معاني مجملة غير متضح، فتتضح إذ ذاك، حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه **وبصفاته** الباقيات التامات وبأفعاله، وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة، ومعنى الوحي ومعنى الشيطان، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين...". يراجع: الغزالي: المصدر السابق، ج1، ص30.

[9]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص319-326.

حيث جاء في رؤية كرامية أخرى تتحدث عن رجل جاء ليعترض على أبي مدين شعيب في مجلس درسه، أنه لما سأله عن سبب قدومه قال: **جئت لأقتبس من نورك، فقال له: أبو مدين ما** الذي في كمك، فأجاب **القرآن، فقال له أبو مدين إفتحه واقرأ أول السطر، ففتحه فإذا قوله** الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ }[1] ومن ثم عاتبه **مؤنبا أما يكفي** هذا في توظيفه **لأسلوب المكاشفة بالإطلاع على مايبطنه الآخرون من أسرار، من** أجل إصلاحها وتربي نفوسهم[2].

وتعكس هذه الكرامات **أن المكاشفة لها هدف** إلى تصحيح النفوس وتطهيرها من الشك **والوسواس، والإ**متثال لاوامر الله، بالإضافة إلى دروس الوعظ والإرشاد التي كانوا يقومون بها.

نستقرء من خلال مختلف **النصوص الكرامة والروايات المناقبية** سواء في الفترتين **المرابطية أو الموحدية، أن الأولياء والمتصوفة صوا** جام غضبهم على المال، واعتبروه **أساس كل مشاكل الدنيا،** فوصفوه أحيانا **بأوساخ الدنيا، وأحيانا أخرى بالشياطين،** وكانوا يرفضون تداولها ، **لأم** اعتبروا المال **أساس الصراعات الاجتماعية.**

غير أن عالم **الكرامة مثل أموالا من النوع** الذي لا يستعمل إلا في مجاله الخاص وهو النوع المعروف في تعبير المتصوفة **"بالدراهم الطيبة"**[3]، والتي توجد حسب ما تبينه النصوص في الهواء[4]، **فالمال** في في المجتمع الذي تصوره المتصوفة مال الله الذي لا يفنى، المال الذي تحصل من ورائه البركة للذين يتحصلون عليه من الصوفية ثم يسخرونه في خدمة الفقراء **وإعانة المحتاجين، حيث ذكر ابن الزيات أن** رجلا مستضعفا جاء إلى أحد الأولياء وشكى له عدم قدرته على شراء أضحية العيد، فمد **هذا** الأخير يده، وقبض في الهواء ومده بدراهم طيبة **جديدة**[5].

ويقدم أبو العباس السبتي**(ت601هـ/1205م)** أحسن نموذج للدور الذي لعبه المتصوفة في الجانب **الاقتصادي**، حيث أجمعت المصادر أن مذهبه يدور حول عدم تكديس الأموال في يد الأغنياء، وضرورة بذلها بسخاء للفقراء والمساكين، **وكان يربط ذلك** بشعائر العبادة، فيفسر رفع المؤمن يديه في تكبيرة الصلاة باها تعني تخليه على كل شيء لله، وعدم **الاحتفاظ** لنفسه بالقليل أو الكثير **منها، كما**

---

[1]- سورة الأعراف: الآية 92. يراجع: ابن الزيات: المصدر السابق، ص319-324.

[2]- ابن مريم: المصدر السابق، ص296.

[3]- القادري بوتشيش: **تاريخ المغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، دار الطليعة، بيروت، دط، 1994م، ص118.

[4]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص131.

[5]- نفسه، ص131.

يفسر الركوع بالمشاطرة في كل شيء، اما السلام في نهاية الصلاة فتعني في نظره الخروج من كل شيء وتسليمه لله تعالى[1]، وكان يرى أن ما يصيب الناس من قحط و حبس المطر إنما يعود لبخلهم[2].

ولم تخلو النصوص المناقبية من رواية مآثر الإحسان والصدق التي ظلت موضوعا جوهريا عند الأولياء والمتصوفة، فقد كانوا يدعون إلى التصدق والإحسان، ووجوب أخذ الأموال من الأغنياء وإنفاقها على الفقراء، وعدم امتلاك الفائض أو ما يزيد عن الحاجة، ومن ذلك أبا عبد الله الحجام (ت614هـ/1217م) كان يتصدق على فقراء تلمسان، فيما يحصل عليه من إحسان الناس إليه[3] وكذلك أبو العباس الخراز(ت600هـ/1203م) كان يتصدق بالثياب التي تمنح له[4]، وقد أصابت أهل بجاية مجاعة أوائل القرن السابع الهجري ولم يتحرك الموحدون، ولا اغنياء المدينة واعيانها للتخفيف من معاناة أهل المدينة [5].

---

[1]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص452،453.

[2]- التمبكتي (أبو العباس أحمد بابا بن أحمد الصنهاجي الماسي): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج مطبوع بهامش الديباج لابن فرحون، دار الكتب العلمية**، بيروت، دط، د.ت، ص60.

[3]- يحيى بن خلدون: **المصدر السابق، ج1، ص102.**

[4]- **السلالجي**: أحمد إبن عبد العزيز **الخراز** من أهل الجانب الشرقي من مراكش، كان صاحب مجاهدات، مساعدا للناس، **ويعمل بيده. يراجع**: ابن الزيات: المصدر السابق، ص377،378

[5]- يمثل العقدان الأولان من القرن 7هـ/13م مرحلة الجفاف والمجاعات التي شملت المغرب برمته، اخطرها تلك الممتدة ما بين (616هـ-621هـ/1220م-1224م) اضطر خلالها الناس إلى أكل الميتة. **يراجع: ابن النظيف** (أبو الفضائل محمد بن علي الحموي628ه/1231م): **التاريخ المنصوري (عن تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، تحقيق: أبو العيد دودو، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1990م،** ص84،85 .

الخاتمـــــــــــــــة

التصوف كلمة أو اصطلاح يوحي بمعاني ودلالات كثيرة بعضها متناقض،**فالبعض يتصور** ه رجلا في زي بسيط يقوم في ظلمة السحر، وآخر ينتقل ذهنه من صورة الرجل **البسيط الذي يدور حول نفسه، ولكنه وليد العمل التعبدي الذي جاء به الزهاد والمرابطون ليصبح هذا العمل التعبدي بعد تسرب مصنفات** الصوفية إلى المغرب والأندلس أكبر **قوة و**مصداقية مما جذب المهتمين إلى **الإقبال على التصوف.**

كما شكلت العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي جاءت في سياق القرن **السابع هجري الثالث عشر ميلادي إطارا** طبيعيا ساعد على نشأة التصوف وظهوره، كما يتضح لنا أن هذه الحركة الصوفية لم تكن وليدة دافع معين أو خلفية تاريخية قديمة كما صورها لنا **المؤرخون الأجانب.**

ومن خلال دراستنا المتأنية لهذه الحركة ظهر لنا رجال حملوا لواء التصوف والبحث عن رجالاته فكان ابن الزيات أنموذجا عن الفكر الصوفي المغاربي، **فأعط**اه طابعا خاصا وقالبا مميزا نقله **من علم** أخلاقي إلى الكشف عن كرامات الصوفية، **ومزج أحكام الشريعة بنفحات علم الحقيقة معلنا بأعلى صوته أن المتصوف من كان عاملا بعلمه وتذوق عبادته، فقد قيل**كل ذلك في كتابه التشو **ف** إلى **رجال التصوف الذي يعد أهم المصادر المغربية** التي **استطاعت الكشف عن مناقب الصلحاء والأولياء** في المغرب الإسلامي، **كما اشتمل على مادة تاريخية** في غاية الأهمية تخص الجانب **الاجتماعي والفكري والسياسي، لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار الظرفية الزمنية المحيطة بتأليف هذا المصنف، فقد** مثلت هذه الفترة المتمثلة في القرنين السادس والسابع هجري الموافقة للقرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلادي منعطفا حاسما في التاريخ الثقافي بالمغرب الإسلامي.

وقد قصد من تأليف هذا الكتاب إعلام الكثير **ممن** خفي عنهم من كان بحضرة مراكش من **الصالحين ومن قدمها من أكابر الفضلاء،** هذه الطائفة كان لها دور كبير في حياة المغاربة وكان لهم علاقات مع السلطة والمجتمع في ذلك الوقت.

وقد شكل التيار الصوفي في تاريخ المغرب الإسلامي على **عهدي المرابطين والموحدين قوة اجتماعية هامة فرضت على المؤسسة الحاكمة** اتخاذ **أساليب دقيقة في اختيار أساليب التعامل معها بناءً على أوضاعها السياسية، والاقتصادية، وا عتبارا لا المذهبية، والعقدية، فقد** اتخذت **علاقة المتصوفة** بالسلطة نوعين من العلاقات في **بادئ الأمر شكل تفاقم الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية** والسياسية، وفي المقابل أصبحت السلطة تتوجس الخطر منهم، **فتعرضوا للملاحقة والمتابعة والإضطهاد.**

أما عن الشكل الثاني فقد شكلت سياسة الإحتواء والتقارب وكسب الود أحيانا، فكان فشل أسلوب المواجهة للدولة المرابطية وتدهور أوضاع دولتهم نتيجة لإحتواء الموحدين المتصوفة.

أما عن أشكال التقارب والمداراة في العصر الموحدي فبالرغم من وجود المعارضة المذهبية من قبل بعض الصوفية المالكية إلا انها لم ترق إلى مستوى الثورة السياسية او المعارضة، بل عرف عصرهم بالإعتراف الرسمي بالصوفية واستمالتهم إلى مجالس الحكم، وهذا ما نجده في عهد يعقوب المنصور (580-591هـ) حينما قرب الصوفية إلى مجلس حكمه، واستعان بهم في الدعوة إلى الجهاد وقيادة الجيش حينما عبر إلى بلاد الأندلس في موقعة الأرك سنة 591هـ. .

أما عن الأدوار التي لعبها المتصوفة داخل المجتمع فكانت كثيرة ومؤثرة في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والسياسية وتمكنوا من التاثير في شرائح المجتمع خاصة وانهم استندوا على الكرامة الصوفية فأهلتهم هذه الوظيفة لقيادة العامة والتأثير فيها.

الملاحق

الـنـصـوص

ملحق رقم01: يمثل الدور الاجتماعي للمتصوفة-

"حدثني أبو علي بن يحي الزناتي عن مخبر أخبر فقال كنا ببجاية فأصابتنا مجاعة شديدة فمر أبو زكريا إلى العامل فاكترى منه فندقا كبيرا بنحو ثلاثمائة دينار، ثم مر إلى أعيان بجاية فكلمهم واحدا بعد واحد في معونة المساكين، فيدفع كل واحد منهم ما يطيقه، فلما **اجتمع** عنده مال كثير دفع إلى **العامل كراء الفندق ...** ثم مشى بطرقات بجاية فكلما مر بمسكين دفع له ما يقيه وقال له **اذهب** إلى **الفندق الفلاني، فلما اجتمع المساكين بالفندق** اشترى لهم من اللباس ما **يدفع** عنهم البرد، ومن **الطعام ما يقيهم الجوع**، وأغناهم عن السؤال إلى أن أخصب الناس في العام الثاني فانصرفوا إلى **مواضعهم**" [1].

1- ابن الزيات: المصدر السابق، ص429.

ملحق رقم 02: يبّين الدور الاقتصادي للمتصوفة

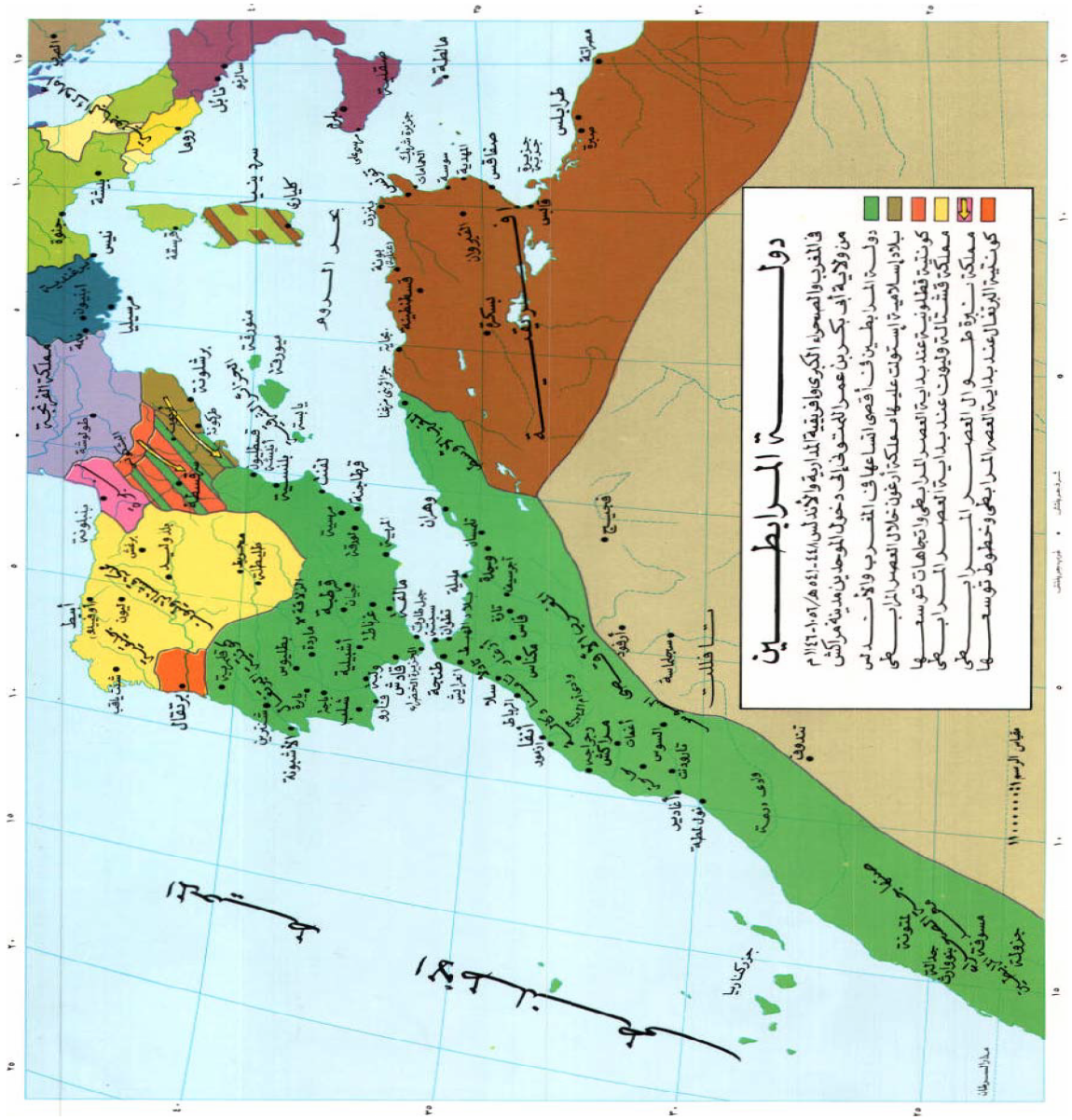
يقدم أبو العباس السبتي(ت601ه/1205م) أحسن نموذج للدور الذي لعبه المتصوفة في الجانب **الاقتصادي** ن حيث أجمعت المصادر أن مذهبه يدور حول عدم تكديس الأموال في يد الأغنياء ، وضرورة بذلها بسخاء للفقراء والمساكين، وكان يرى أن ما يصيب الناس من قحط وحبس المطر إنما **يعود لبخلهم، ومن رواية مآثر الإحسان والصدقة عند المتصوفة هو وجوب أخذ الأموال من الأغنياء وإنفاقها على الفقراء، وعدم امتلاك الفائض أو ما يزيد عن الحاجة"**[1].

1- ابن الزيات: المصدر السابق، ص452، 453.

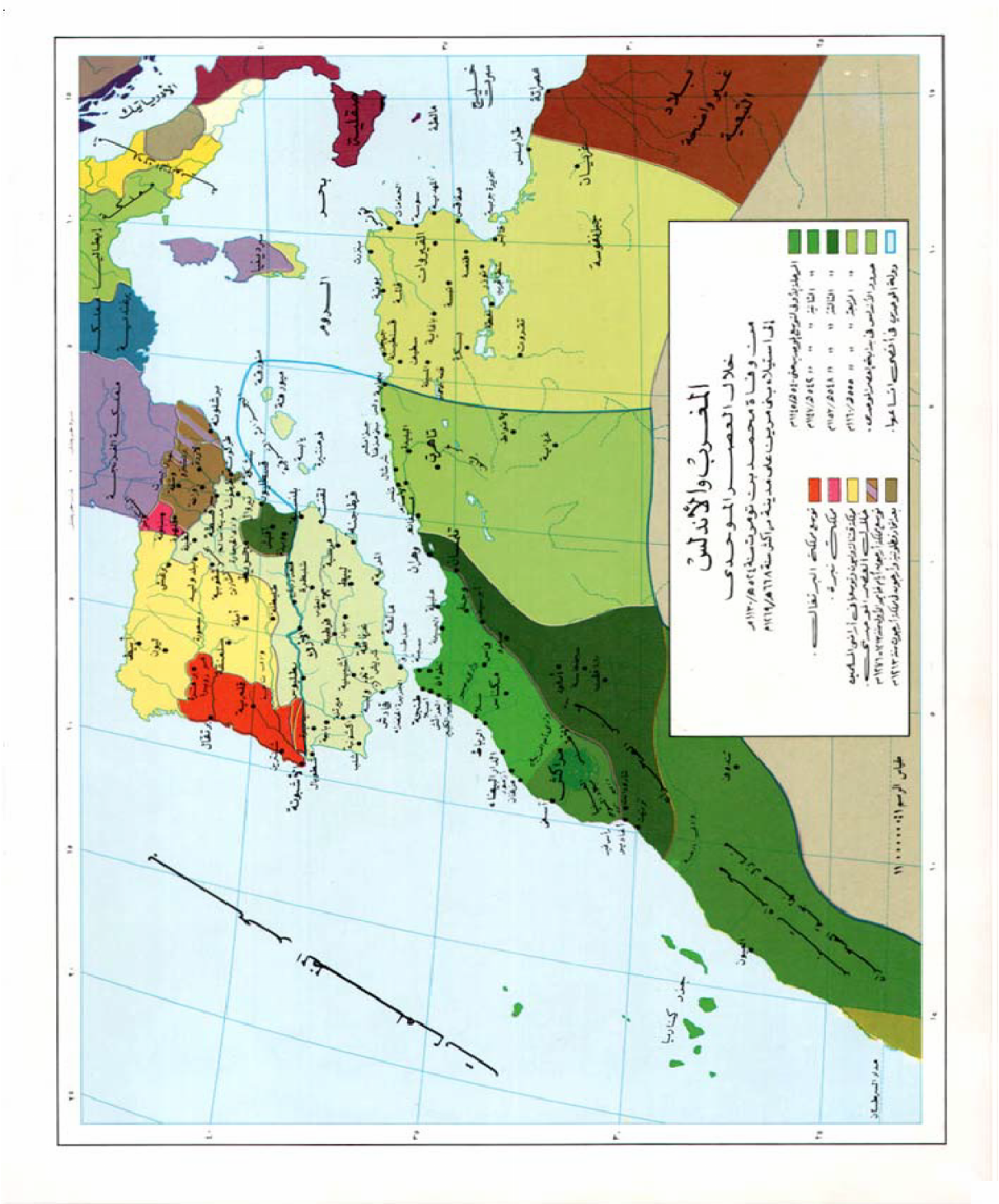
الخـــــــــرائـــــــط

ملحق رقم 01: خريطة دولة المرابطين.

مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، مؤسسة الرسالة، القاهرة، دط، 1987م، ص165.



ملحق رقم 02: يمثل خريطة المغرب والأندلس على عهد الموحدين.



مؤنس حسين: المرجع السابق، ص165.

بيبليوغرافيا

القرآن الكريم رواية ورش عن نافع، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م.
السنة النبوية:
أحمد بن حنبل ت 241ه: المسند.
البخاري(أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي ت256ه): صحيح البخاري، تحقيق محمد بن ناصر الناصر، نشر دار طوق النجاة، ط1، 2001م.
ابن ماجة: كتاب الزهد
مالك بن أنس الأصبحي ت179ه: موطأ الإمام مالك.
الإمام مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دط، 1956م.

المصادر العربية :

– أ –

- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت 658ه/1260م): الحلة السيراء، ط2، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
- الأزهري (محمد بن أحمد): تذيب اللغة، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط،1967م.
- الأصبهاني (أبو النعيم أحمد بن عبد الله ت430ه/1039م): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق محمد أمين الخانجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.
- الألوسي (شهاب الدين محمد): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، نشر وتصحيح شكري الألوسي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1980م.

– ب –

- البادسي (عبد الحق بن إسماعيل ت أوائل القرن08ه/14م): المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية الرباط، 1993م.
- البكري (أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز ت487ه/1094م): المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه جمال طلبة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
- البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي ت555ه/1160م): أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.
- التنبكتي (أبو العباس أحمد بابا بن أحمد الصنهاجي الماسي ت1036ه/1627م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج طبع بامش الديباج لابن فرحون، دار الكتب العلمية، بيروت.

- التميمي (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم ت603ه أو 604ه/1206م أو 1207م): المستفاد في مناقب العّباد بمدينة فاس وما يليها من بلاد، تحقيق محمد الشريف، ج2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 2002م.

- إبن تيمية (تقي الدين أحمد ت728ه/1328م):

1- الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، دار الكتب العلمية، بيروت دت.

2- مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمان ابن قاسم، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، السعودية، د ت.

- إبن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن علي البغدادي ت597ه/1201م):

1- تلبيس إبليس، تحقيق السيد الجميلي، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، 1420ه/1999م.

2- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، درسه وحققه محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

- الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت626ه/1228م): معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت.

- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي ت808ه):

1- المقدمة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م.

2- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.

- ابن خلدون (أبو زكريا يحي بن محمد الحضرمي 780ه/1378م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م.

- ابن خلكان (أبو العباس احمد بن محمد بن أبي بكر الإربلي ت681ه/1288م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، ت 741ه/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د ط، صور للطباعة والورّاقة، الرباط،1972م.

- الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت 894ه/1489م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.

- ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ت627ه أو628ه/1230م أو 1231م):
التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م.
- السّراج الطوسي(أبو نصر محمد بن أحمد، ت378ه/989م): اللمع في التصوف، تحقيق عبد الحليم محمود، مكتبة المثنى، بغداد، 1960م.
- ابن سعيد الغرناطي(علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك الأندلسي ت685ه/1286م):
المُغرب في حُلى المَغرب، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م.
- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ت1315ه/1897م): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954م.
- السهروردي (أبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد التّيمي): عوارف المعارف، ط2، دار الكتاب العربي، لبنان، 1983م.
- السيوطي (أبو الفضل عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد جلال الدين ت911ه):
1- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، لبنان،1979م.
2- تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشادلية، تحقيق وتعليق محمد حسني مصطفى، ط1، دار القلم العربي، د ت.
- الطبري (أبو جرير محمد بن جعفر ت310ه/923م): جامع البيان عن تأويل القرآن، ط3، مطبعة مصطفى الباجي، القاهرة، 1954م.

– ع –

- ابن عذارى المراكشي(أبو العباس محمد بن أحمد، ت بعد 712ه/1312م):
1- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، تحقيق إحسان عباس، دار العربية للكتاب، بيروت، 1989م.
2- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين،تحقيق محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ودار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، 1406ه/1985م.
- العزفي (أبو العباس ت633ه/1235م): دعامة اليقين في زعامة المتقين مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، المغرب، د.ت.

- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي ت1098ه/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر وللطباعة والنشر، بيروت، د ت.

– غ –

- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد ت 704ه/1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- الغزالي (أبو حامد محمد بن الطوسي ت505ه/1112م): إحياء علوم الدين، جزآن، دار الجيل، بيروت، دط، 1992م.

– ف –

- ابن فارس(أبو الحسن أحمد بن زكريا ت395ه/1005م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد بن هارون، دار الجيل، بيروت لبنان، 1991م.
- الفراهيدي (أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي ت170 أو 175ه/786 أو 791م): كتاب العين، تحقيق محمد مهدي وابراهيم السامرائي، دار الحرية، بغداد، 1984م.
- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت 749ه): مسالك الأمصار في ممالك الأبصار، السفر الثامن [طوائف الفقراء- الصوفية]، تحقيق بسام محمد بارود، إهداء المجمع الثقافي، أبو ضبي، الإمارات، د ط، 2001م.
- الفيروز أبادي (ماجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ت818ه):

1- البُلغة في تاريخ أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 2000م.

2- القاموس المحيط، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت،1987م.

– ق –

- القشيري (عبد الكريم بن هوازن ت465ه/1068م): الرسالة القشيرية في علم التصوف،تح عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف، دار المعارف، مصر، 1995م.
- ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي الكتامي ت650ه/1252م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن الحسين القسنطيني ت810ه/1407م): أنس الفقير وعز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه، تحقيق أبي سهل نجاح عوض صيام، دار المقطم، القاهرة، 2002م.

– ك –

- **الكلا باذي** (أبو بكر محمد إبراهيم ت380ه/989م): **التعرف لمذهب أهل التصوف، دار صادر،** بيروت، 2000م.

– م –

- **مؤلف** مجهول (ت783ه/1381م): الحلل الموشية في ذكر الأ**خبار المراكشي، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء دار الرشاد، 1979م.**

- مؤلف مجهول(ت 712ه/1312م): مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي **رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م.**

- ابن مخلوف (محمد بن محمد): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبت**ها، القاهرة، 1349ه.**

- **ابن مريم** (أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد ت1025ه/1611م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشره محمد بن أبي شنب، قدم له عبد الرحمان طالب، **ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.**

- **ابن عبد الملك** (أبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري **المراكشي** ت703ه/1303): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، **السفر الثامن، تحقيق إحسان عباس، ط1،** دار الثقافة، بيروت، 1973م.

- **ابن منظور**(أبو الفضل محمد بن مكرم ت256ه): لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، **دار المعارف، القاهرة، دط، دت.**

– ن –

ابن النظيف (أبو الفضائل محمد بن علي الحموي ت628ه/1231م):

- **التاريخ المنصوري (عن تلخيص الكشف** والبيان في حوادث الزمان)، **تحقيق أبو العيد دودو، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.**

– ي –

اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت768ه/1367م):

- **مرآة** الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

قائمة المراجع العربية:

- أحمد موسى **عز الدين:** النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، **دار الشروق،** بيروت، 1983م.

- البختي جمال علال: الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، 2003م.

- **بوتشيش إبراهيم القادري:**

1- تاريخ المغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، 1994م.

2- المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع- الذهنيات – الأولياء)، **دار الطليعة للطباعة** والنشر، بيروت، 1986م.

- **جاد الله منال عبد المنعم:** التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف الإسكندرية، **د ت.**

- عبد الحليم محمود: المنقذ من الضلال، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م.

- **الخشاب سامية مصطفى: علم الاجتماع الإسلامي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1985م.**

- **دندش عصمت عبد اللطيف:** الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، 510ه : 546ه/1116م : 1151م، ط1، **دار الغرب الإسلامي،** بيروت، 1988م.

- **بن سباع مصطفى: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، ط1،** تقديم أحمد بنعبود، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، 1999م.

- العبده محمد و **عبد الحليم طارق: ا لصوفية نشأا وتطورها، دار الأرقم، الكويت، د ت.**

- **علي حسن حسن:** الحضارة الإسلامية في المغرب **والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، ط1، مكتبة الخاجي، مصر، 1980م.**

- علي القرني **(عبد الحفيظ فرغلي):** التصوف والحياة العصرية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1404ه/1984م.

- **عمر موسى عز الدين:** الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماهم ونظمهم، دار الغرب **الإسلامي،** بيروت، 1990م.

- اللبلي محمد بركات: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري ، دار **النهضة العربية القاهرة،** 1993م.

- **مؤنس حسين:** أطلس تاريخ الإسلام، مؤسسة الإعلام العربي، **القاهرة،** 1987م.

- **مبارك زكي:** التصوف الإسلامي في الأدب **والأخلاق، ج1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،** بيروت، د ت.

- المحمودي أحمد: عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001م.

- **المعموري الطاهر:** الغزالي وعلماء المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

- المنوني محمد: **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، المطبعة المهدية، تطوان، د ط، 1950م**

- **يالجن مقداد: فلسفة الحياة الروحية (منابعها وشأنها، ونشأة التصوف والطرق الصوفية)، دار الشروق،** بيروت، ط1، 1986م.

ثالثا: المراجع المعربة:

- **إدريس** الهادي روجي: **الدولة الصنهاجية** (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من ق10م إلى ق12م)، ترجمة حمادي الساحلي، **ط1، دار الغرب الإسلامي،** بيروت، 1990م.

- **بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله للعربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم** للملايين، بيروت، ط5، 1962م.

- **ماسنيون ومصطفى عبد الرزاق : التصوف،** ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، **إبراهيم خورشيد وآخرون،** دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1984م.

- **نيكلسون رينولد:** الصوفية في الإسلام،**ترجمة نور الدين شريبة، نشر مكتبة الخانجي، ط1،** 1951م.

رابعا: الرسائل الجامعية

- بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين6و7هـ/12و13م، دار الهدى للطباعة والنشر **والتوزيع، عين مليلة، الجزائر**(أطروحة ماجستير نوقشت في **25 جانفي 2000م، قسم التاريخ جامعة الجزائر).**

خامسا: المجلات والدراسات

- **حاجيات عبد الحميد:** عمر الهواري شخصيته وتصوفه، مجلة الثقافة، **العدد 88، سنة 15، وزارة الثقافة والسياحة، شوال- ذو القعدة، يوليو-أغسطس 1405هـ/1985م.**

- الحوالي (سفر بن عبد الرحمان): **أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د.ط، د.ت، د.م.**

- **الشريف محمد: ما قبل هيكلة الزوايا بالمغرب** -الطوائف الصوفية خلال الانحلال الموحدي- مجلة **المناهل، الرباط، عدد 80-81 (فيفري 2007م).**

- الصباغ لمياء عز الدين: الصوفيون والتصوف في المغرب حتى القرن الرابع، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد1/14، 1434هـ/2013م.

- طعمية صابر: دراسات في الفرق(الصوفية في ضوء العقيدة الإسلامية)، المجلة التاريخية، الفسطاط، مكتبة المعارف، الرياض، عدد01جوان2007م.

سادسا: الدوريات

- الشريف محمد: "المستفاد -أو إستقطاب التيار الصوفي في المغرب على عهد الموحدين-"، ضمن دراسات عربية، العدد1-2 (نوفمبر/ديسمبر1995م).

سابعا: الندوات

- القبلي محمد: "رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط - الخطاطة العامة وأرضية الاختلاف- "، ضمن أعمال الندوات" أبي حامد الغزالي"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988م.

ثامنا: المواقع الإلكترونية

- الجيلالي كريم: الرابطات والرباطات في المغرب من خلال كتاب التشوف، مقال إلكتروني، نشر في الانترنيت، يوم 12محرم 1427ه/ 11فيفري 2006م.

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية: مقال بعنوان: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، نشر في الإنترنيت، يوم الخميس 02 فيفري 2012م.

فهرس الآيات والأحاديث النبوية والأعلام والأماكن

فهرس الآيات

الآية 120 من سورة هود 37

الآية 5 من سورة مريم 40

الآية 115 من سورة المؤمنون 40

الآية 92 من سورة الأعراف 60

فهرس الأحاديث

حديث ابن عباس " يا رسول الله من أولياء الله ... " 38

حديث الترميذي " ... أغبط أوليائي عند المؤمنين خفيف الحاد ... " 38

حديث أنس بن مالك عن الأبدال 38

حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في معاداة الأولياء وقصة بكاء معاذ 38

حديث أبي هريرة في محبة الأولياء 39

حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في زيارة الأولياء ومجالستهم 39

حديث مالك بن أنس " وجبت محبتي للمتحابين ... " 39

حديث أبي هريرة في حسن الثناء على الأولياء 39

حديث أبي هريرة " الحق أهل الصفة فادعهم " 40

فهرس الأماكن

- أ -

الأصبهاني 12 -35-42

الأزهري 15

الأزدي 27

أحمد بن مسعود 31

أفا عمر 84

أبي أمامة 38

أنس بن مالك 38
أبو بكر بن يحي بن محمد 46
بن الأمان 46
ابن أسود 47
آل أمغار 53-54
الإشبيلي 61

- ب -

بروكلمان 13
البادسي 16-42
ابن بقي 26
ابن بشكوال 26
ابن البيطار 31
البزاز 38-39
بلال 38
البخاري 40
ابن برجان 47

- ت -

ابن تيمية 13-15
ابن تومرت 22-31-51-54-55-56
التوفيق أحمد 33-34-35
الترميذي 38-39
تستواني 43
تميم 46

تاشفين 46-52
تميمي 50
تونسي 52-54-60
التجيبي 59

- ج -

الجزيري 17
الجنيد 17
الجيلالي 17
الجازولي 26-31
معاذ بن جبل 39
جبريل 40

- ح -

الحسن البصري 15
ابن حوط 26
الحريري 26
الحفصي 28-29
ابن حبوس 31
حميدي بلعيد 34
الحضرمي 35
عبد الحي 36-37-43
حجي 37-43
ابن حرزهم 47-53
ابن الحجام التلمساني 56-63

- خ -

ابن عبد الخالق 27-56
الخضر 38
ابن خبازة 56
الخزاز (أبو العباس) 63

- ر -

الرشيد 29
ابن رشيد 30
ابن رشيد 26
عبد الرحمان بن عوف 40
الرجراجي 51

- ز -

زكي مبارك 13
ابن الزيات 26-27-28-33-34-35-37-42-43-51-62
الزواوي 56

- س -

السراج 12
السهر وردي 12-15-16
السبتي 17-26-33-34-35-36-41-60-62
السري السقطي 17
السيوطي 17
السلالقي 26
ابن سعيد 31

ابن سعدون 41
سملالي 43

- ش -

ابن الشاط 26-27
الشريف 26
أبي شيبة 39
الشهرستاني 40
ابن الشيخ 53

- ص -

صهيب 38
الصنهاجي 56
أبو حفص الصنهاجي 59

- ط -

ابن الطيب 40

- ع -

عيسى عليه السلام 13-15
علي رضي الله عنه22
ابن عذاري 30-31-52
ابن عربي 31
العابد الفاسي 36
ابن عباس 38-39
عمر 40
ابن علي العمراني 41

ابن علوان 43

ابن العريف 47

علي بن يوسف 47-48-52-53-54-60

- غ -

الغفاري أبي ذر 22

الغزالي 30-37-48-49-55

الغبريني 55

- ف -

الفراهيدي 15-26

ابن فارس 15

الفيروز أبادي 15-26-27

فور 27-34

- ق -

القشيري 12-16-17

ابن القطان 31

قبلي 43

ابن قسي 50

- ك -

الكلاباذي 12-16-17

الكتاني 17-18

الكلاوي 36

- ل -

اللمطي 26

اللبلي 27

- م -

موسى عليه السلام 15-38

عبد المؤمن 30-31-50-54-55

محمد صلى الله عليه وسلم 13-21-37-38-39-40-41

معاوية 22

مأمون 28-29-56

ابن عبد الملك 26

المنصور 27-28-29-30-42-51-55-56

ابن موسى 27

مستنصر 28-30-31-42-55-56

مرينيين 29

المنوني 34-37

مكوار 37

مولاي37

مسلم بن الحجاج 39

مالك بن أنس39

مسلم 39

مصعب بن عمير 40

أبي ميمون 47-50-60

أبي مدين 51-61-62

المسيلي51

الميورقي المرابطي51

مزدلي بن تلكان 52
المسوفي 53
أبو محمد ويجلان 61
- ن -
نيكلسون 13-21
الناصر 28-42-54-56
ابن النحوي 47
- ه -
ابن هود 28-50
الهروي 37
أبي هريرة 39-40
الهزرجي (ابراهيم محمد) 60
- و -
الواثق 25
ابن أبي وقاص 37
عبد الواحد 55
- ي -
أبو ياسين 31
يوسف 32-47
أبو يعلى 59
اليرصجي تنفيث 60

فهرس الأماكن

- أ -

آزمور 34-53

آسفي 34

إفريقية 28-29

آغمات 34-60

آمغار 34

الأندلس 26-28-29-30-31-33-54-55-56

ألميرية 47

إيطاليا 61

- ب –

باب الخميس 27

بجاية 51-56-59-61-63

- ت –

تادلة 27

تاودة 50

تلمسان 46-52-60-61-63

تميم 15

تونس 31

عين تيط 53

- ح –

بنو حفص 28

الخزانة الحسينية 35

- د –

الدار البيضاء 34

دكالة 27

- ر –

رباط شاكر 40

الرباط 33-34-35-36-37

زكراكة 27

الريف المغربي 43

- ز –

الخزانة الزيدانية 35

- س –

سبتة 27-47

سجلماسة 27-47

- ش –

الشام 29-31

- ص –

صنهاجة 53-54

- ع –

الخزانة العامة 36

عتاب 51

العقاب 28-29

- ف –

فاس 36-48-50-59

- ق –

خزانة القرويين 36

- ك –

كونراد أدناور 34

- م –

المرابطين 46-49-52-53-54-56-62

مراكش 27-28-29-30-37-43-47-51-53-55

بنو مرين 28-29

المسجد (إلياء – الحرام – النبوي) 40

المشرق 29-31-33-35

المصامدة 35

مصر 29-31

المغرب الإسلامي 22-23-28-29-30-31-37-42-46-54-55-57

المغرب الأقصى 29-31-33-42

مكناسة 50

ملالة 54

الخزانة الملكية 36

المماليك 29

الموحدين 28-29-30-31-46-50-51-52-53-54-55-56-62-63

الميورقيين 51

- ه –

هسكورة 35

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	
بسملة.	
الشكر والعرفان	
الإهداء	
مقدمة	5-1
المبحث الأول : مدخل إلى التصوف	19-6
أولا: أصل الكلمة واشتقاقها	9-7
ثانيا: تعريف التصوف	15-10
أ: في اللغة	13-11
ب: في الاصطلاح	15-13
ثالثا: نشأة التصوف وعوامل ظهوره	19-16
أ: النشأة	17
ب: عوامل ظهوره.	18
ب-1- العوامل السياسية	18
ب-2- العوامل الاقتصادية والاجتماعية	19-18
المبحث الثاني: ابن الزيات وكتابه التشوف	39-20
أولا: ابن الزيات وعصره	27-21
أ: المؤلف	23-22
ب: عصره	27-24
ب-1- الحياة السياسية والعسكرية	25-24
ب-2- الحياة الاقتصادية والاجتماعية	26-25
ب-3- الحياة الحضارية والفكرية	27-26
ثانيا: دراسة كتاب التشوف إلى رجال التصوف	39-28
أ: دراسة وصفية	37-29
ب: دراسة باطنية	39-37
ب-1- نقد أسلوب ابن الزيات	38-37
ب-2- قيمة الكتاب	39-38
المبحث الثالث: المتصوفة بين السلطة والمجتمع	59-40
أولا: الحضور السياسي	53-41

ثانيا: التفاعل الاجتماعي	59-54
الخاتمة	62-60
ملاحق	69-63
بـــيـــبـلـيـــــــــوغـــــرافـيـــــــــــا	78-70
فهرس الآيات والأحاديث والأعلام والأماكن	90-89
الفـــــــهرس العـــــــــــام.	93-91